الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
الجامعة أحمد دراية - أدرار-

كلية الآداب واللغات.

قسم اللغة والأدب العربي.

جامعة أحمد دراية أدرار الجزائر
Université Ahmed DRAIA. Adrar-Algérie

بلاغة لغة الحيوان في القرآن الكريم
(سورة النمل نموذجا)

مذكرة تخرج مقدمة لنيل شهادة ليسانس في اللغة والأدب

تخصص: دراسات لغوية

★ من إعداد الطالبتين :

- فتيحة كحلاوي
- آسية بوبـــات

★ إشراف الدكتور:

سليمان قوراري.

الموسم الجامعي: 1435هـ-1436هـ/2014م-2015م.

بسم الله الرحمن الرحيم

الرَّحْمَٰنُ ﴿١﴾ عَلَّمَ

الْقُرْآنَ ﴿٢﴾ خَلَقَ

الْإِنسَانَ ﴿٣﴾ عَلَّمَهُ

الْبَيَانَ ﴿٤﴾

سورة الرحمان الآية 1،4.

شكر وعرفان

يقول الله عز وجل﴿ولقد أتينا لقمان الحكمة أن اشكر الله ومن يشكر فإنما يشكر لنفسه ومن كفر فإن الله غني حميد﴾

ويقول أيضا ﴿ لئن شكرتم لازيدنكم﴾

الحمد لله نحمده حمد الشاكرين ونثني عليه ثناء العارفين, صاحب الفضل والمنة أن وفقنا لإتمام هذا العمل الذي نسأله أن يتقبله منا بخالص النية وينفع به جميع المسلمين.من باب من لا يشكر الناس لا يشكر الله. ومن باب الاعتراف بالفضل لأولى الفضل، كان لزاما علينا أن نتوجه بالثناء العطر والشكر الجزيل لأستاذنا الكريم والمشرف على بحثنا الدكتور قوراري سليمان، على حسن رعايته لهذه الباكورة . والذي أمدنا بالكثير وأفادنا من خبرته وعلمه، وأرائه ما لا نحصيه ،نتقدم بشكره ثانية، جزاه الله عنا ألف خير.

كما لا ننسى أن نتوجه بالشكر وفائق التقدير إلى الأستاذ "رقادي أحمد" بقسم الشريعة على ما قدمه لنا من مساعدة وتوجيهات.

كما نتوجه بالشكر إلى جميع القائمين على قسم اللغة والأدب العربي .وكل عمال المكتبة المركزية.

وكل من قدم لنا يد المساعدة.

فتيحة آسية

الإهداء

الحمد لله الذي بعونه تتم الصالحات والصلاة والسلام على رسوله الكريم سيدنا محمّد عليه أزكى الصلاة وأفضل التسليم ،وعلى آله وصحبه أجمعين

بعدما رست سفينة هذا البحث على شواطئ الختام ،لايسعني إلاّ أن أهدي ثمرة هذا الجهد المتواضع:

إلى التي أوصني بها المولى خيراً وبراً ،إلى التي حملتني وهناًعلى وهن وأرضعتني لبن التوحيد مع الفطرة وكانت نعم الأم .أمي العزيزة.

إلى رمز العزّ والشموخ ،إلى من وطأ الأشواك حافياً ليوصلني إلى ما وصلت إليه اليوم ،إلى من ربّاني ورعاني وإلى طريق المعالي هداني فكان نعم الوالد والمربّي .إلى أبي العزيز .

إلى روح جدّي رحمه الله

إلى.عمّي {عبد الرحيم}وفقه الله في حياته.

إلى روح جدتي رحمها الله.

إلى إخوتي وأخواتي الغاليين:{فطيمة ،عمر،صليحة ،أيوب ،رقيّة خديجة سفيان}حفظهم الله.

إلى إبنت أختي فاطمة:{أسماء أولاد حمّادي}حفظها الله.

إلى كل من علّمني حرفاً.إلى كلّ الأساتذة الكرام من الطور الإبتدائي،مروراً بالطور المتوسط والثانوي ،وصولاً إلى الجامعة.

إلى كل زميلاتي بمقاعد الدراسة .

إلى كل من قرأ هذا العمل.

فتيحة

إهداء

بسم الله الرحمان الرحيم

قال تعالى: ﴿ وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴾

﴿ الإسراء:24﴾

إلى التي أوصاني بها المولى خيرا وبرا، إلى التي حملتني وهنا على وهن، إلى التي سهرت الليالي لأنام ملئ أجفاني إلى منبع الحب والحنان إلى رمز الصفاء والوفاء والعطاء، إلى روح أمي الغالية ديبة فاطمة رحمة لله عليها

إلى رمز العز والشموخ إلى من وطأ الأشواك حافيا ليوصلني إلى ما وصلت إليه اليوم، إلى أبي العزيز محمد

والي كل الإخوة والأخوات:عبد المالك ،وهيبة، مسعودة ،خالد ،زهية، جلول إدريس، محمد العربي، إلى زوجة أبي مليكة

الى من يجري في عروقي حبهم و ينبض قلبي بحبهم:جدتي وجدي ،أعمامي وعماتي وخلاتي وأخوالي.

الي كل الأصدقاء:**سارة ،جميلة ،سعاد،فتيحة،وداد،مفيدة،مبروكة،فوزية.**

إلى الذين لم يذكرهم اللسان ويذكرهم القلب.

آسية

مـــــقدمـــــة

تعيش الكائنات الحية في أوساط اجتماعية مع بني جنسها، في تناسق وتراتبية عجيبة تفصح عن بديع صنع الخالق عز وجل الذي قدّر فهدى ، وأتقن صنعة كل شيء ، لتبقى شاهدا على تفرّده بالخلق والإيجاد ، وعنوانا على العظمة والجلال والجمال والتفرد بالعطاء والرزق والكمال فهو القائل في كتابه الكريم " ۞ ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ۚ كُلٌّ فِى كِتَـٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦﴾ ﴾ [هود :6] " قد جاء في تفسير الإمام إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي رحمه الله "أخبر تعالى أنه متكفل بأرزاق المخلوقات ، من سائر دواب الأرض ، صغيرها وكبيرها ، بحريها ، وبريها ، وأنه) يعلم مستقرها ومستودعها) أي : يعلم أين منتهى سيرها في الأرض ، وأين تأوي إليه من وكرها ، وهو مستودعها . وقال علي بن أبي طلحة وغيره ، عن ابن عباس) :ويعلم مستقرها (أي : حيث تأوي ،) ومستودعها (حيث تموت . وعن مجاهد) :مستقرها (في الرحم ،)ومستودعها (في الصلب ، كالتي في الأنعام : وكذا روي عن ابن عباس والضحاك ، وجماعة . وذكر ابن أبي حاتم أقوال المفسرين هاهنا ، كما ذكره]ص : [306عند تلك الآية : فالله أعلم ، وأن جميع ذلك مكتوب في كتاب عند الله مبين عن جميع ذلك ، كما قال:﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا طَـٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم ۚ مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَـٰبِ مِن شَىْءٍ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾ الأنعام : 38 وقوله:﴿ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَـٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَـٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾ ﴾ الأنعام58.

،ومن ثمّة كان لهذه الكائنات مجموعة من الأعمال والأهداف التي تسعى إليها .ولأجل تحقيق ذلك لابدّ من وجود رابط التواصل بين أفراد هذه الكائنات ،حيث يكون هذا التواصل بوجود وسيلة والمتمثلة في ملكة

اللغة ،هذه الأخيرة التي وهبها الله لكلّ كائن حيّ ووهبه بذلك القدرة على التفاهم ومنحه وسيلة الاتصال ببني جنسه ،حيث نجد ذلك لدى سائر الكائنات الحيّة ،البشريّة وغير البشريّة .وهذه الأخيرة تمثلت في كل من الحيوانات ،والحشرات ،والطيور ،حيث أثبتت لنا الدراسات العلمية ومن خلال الإعجاز العلمي أنّ للحيوان لغة يتواصل بها.وقد أشار القرآن الكريم في أكثر من موضع إلى هذه الحقيقة ،لاسيّما ما لمسناه من خلال سورة النمل في حديث النملة ،والحوار الذي جرى بينها وبين سيدنا سليمان عليه السلام إضافة إلى حواره مع الهدهد عندما ذهب إلى قوم سبأ ،حيث كان لهما دور هام في القصة القرآنية ،وذلك من خلال إثبات وإيضاح لغة الحيوان ،إضافة إلى إثبات وإظهار القدرة الإلهية في جعل الناطق من البشر يفهم لغة الحيوان الأعجمي . من هنا تندرج دراستنا حول بيان بلاغة لغة الحيوان في القرآن الكريم ،التي دفعنا لاختيار الموضوع الذي حملته هذه الدراسة هو لأجل المعرفة ،والوقوف عند حبايا الإعجاز العلمي ،عند الحيوان لاسيّما بلاغة لغة هذا الكائن .ومن هنا يمكن طرح التساؤل :

ينطلق هذا البحث من إشكالية مفادها اين تتجلى بلاغة لغة الحيوان في النص القرآني الكريم لاسيما من خلال سورة النمل ، التي تجلت فيها عظمة الخالق من خلال النملة والهدهد وما فيهما من بديع صنع الله وحكمه البليغة . وهل توصلت الأبحاث العلمية إلى معرفة لغة الحيوان؟ وهل استطاع العلماء ومن خلال أبحاثهم العلمية الوصول إلى هذا الإعجاز ؟وماهي الوسائل المعتمدة عند الاتصال لدى الحيوان وبني جنسه؟وفيما تكمن بلاغة هذه اللغة؟

وكان هدفنا الأسمى من وراء هذه الدراسة ،هو محاولة استكشاف الحقائق العلمية والحكم الإعجازيّة في خلق الحيوان لاسيما من خلال بلاغة النصوص التي حكاها القرآن عنه .

أمّا عن المنهج الذي اتبعناه ،فتمثل في المنهج الوصفي ،أداته التحليل.

وفيما يخص الخطّة المتبعة ،فقد إنتهجنا خطّة إشتملت كل من مدخل وهو بمثابة مفتاح أوّلي للموضوع .إذ أشارنا فيه إلى عالم الحيوان ،وأشرنا كذلك إلى السور التي سميّت بأسماءالحيوان، وكذلك تطرّقنا إلى الوقوف عند أصناف الحيوانات وتبيان الإعجاز والحقائق العلمية ،من وراء ذلك وأنهينا مدخلنا هذا بإبراز لغة الحيوان ،من خلال تطرّقنا لآية من آيات القرآن التي ضمنت ذلك. هذا ما يخص المدخل .

أمّا عن فصول هذا البحث فاعتمدنا فصلين إثنين :أوّلهما أدرج تحت عنوان الحيوان في القرآن الكريم .حيث تطرقنا فيه إلى ثلاثة مباحث. أمّا المبحث الأول فتعرّضنا فيه إلى تعريف الحيوان لغة واصطلاحاً . وتطرقنا من خلال

المبحث الثاني :إلى تصوير الحيوان في القرآن الكريم . أمّا عن المبحث الثالث: فوقفنا عند نظرة تاريخية عن مكانة الحيوان.

أمّا عن الفصل الثاني ،والذي كان أنموذج الدراسة فرسّت قافلتنا عند سورةالنمل وتجليات بلاغة لغة الحيوان .إذ جزّء هذا الفصل كذلك إلى ثلاثة مباحث أوّلهما تمحور حول تعريف لسورةالنمل .أمّا عن ثانيهما فتضمّن الحيوانات المذكورة في سورة النمل.لينتهي الفصل بمبحث ثالث والذي دار حول :التشكيل البلاغي للغة الحيوان في سورة النمل.

واخيراً ختمنا بحثنا بمجموعة من النتائج التي جاءت كحوصلة للبحث.

وقد اعتمدنا على مجموعة من المصادر والمراجع والتي من بينها لسان العرب لابن منظور ،والتفسير الموضوعي لسور القرأن الكريم. والموسوعة الكونية الكبرى لماهر أحمد الصوفي. وغيرها من الكتب الأخرى .

وتطرّقنا في بحثنا إلى الرموز التالية:الجيم :الجزء ،الطاء: الطبعة ،الصاد: الصفحة، الراء: الرقم، تح: تحقيق.

ولا يسعنا في الختام إلا أن نتوجه بالثناء العاطر والشكر الجزيل لأستاذنا الكريم والمشرف على بحثنا الدكتور سليمان قوراري على حسن رعايته لهذه الباكورة الجنية من قطوف مختلف الدراسات العلمية ، والتي نأمل أن تؤتي أكلها بإذن ربها سبحانه ، هذا وبالله التوفيق .

مدخل

إلى

عالم الحيوان

يعد عالم الحيوان عالماَ مفتوحا لكل من أراد دراسة عجائب الحياة في الأحياء ،فالحيوانات والطيور،والحشرات هي أمم أمثالنا،فقد زودها الله تعالى بمايتلائم مع بيئتها والظروف التي تواجهها ،ففي القرآن الكريم هناك سبع سور سميت بأسماء الحيوانات،والمتمثلة في كل من سورة البقرة الأنعام ،النمل،النحل ،العنكبوت،العاديات،الفيل.

كما ذكرت أيضا حيوانات وحشرات كثيرة، والتي من بينها العنكبوت والنمل، والكلب،والحمار، والنحل، والهدهد، والغراب، والضأن، والنعجة والحوت وغيرها. إنَ جانبا كبيرا من علم الحيوان يهتم فيه الباحثون بدراسة أجهزة الحيوان المختلفة.سواء كان الحيوان خلية واحدة وهذا كما في الحيوانات الأولية أو كان جسمه مكونا من ملايين الخلايا، كما يركزون اهتمامهم بدراسة تكيف هذا الحيوان بأجهزته المختلفة مع البيئة التي يعيش فيها، وقد وجد أنَ جميع الحيوانات متكيفة بأجهزتها المختلفة مع بأجهزتها التي خلقها الله سبحانه وتعالى لها مع البيئات التي تعيش فيها تكيفا عجيبا[1]فالحيوانات أصناف،وهذا ما ورد في سورة النور،عند قول المولى عز وجل :﴿وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍۖ فَمِنۡهُم مَّن يَمۡشِي عَلَىٰ بَطۡنِهِۦ وَمِنۡهُم مَّن يَمۡشِي عَلَىٰ رِجۡلَيۡنِ وَمِنۡهُم مَّن يَمۡشِي عَلَىٰٓ أَرۡبَعٖۚ يَخۡلُقُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ٤٥﴾ سورة النور الآية 45

أما من يمشي على بطنه فتتمثل في الزواحف كالحيات والثعابين وما أشبهها من الزواحف،التي تزحف على سطح الأرض ،﴿ومنهم من عَلَى رجلين﴾ وهذا كالطيور وأمثالها،﴿ومنهُم مَن يَمشي عَلَى أَربَع ﴾كالبهائم.

"فمن خلال الآية الكريمة التي بينت لنا هذا التصنيف،تتبين لنا حقيقة علمية أخرى وهي خلق كل الدواب من ماء فالماء هو أصل الحياة لجميع أنواع الدواب ،ولكن على الرغم من ذلك تفاوتت هذه المخلوقات في حركة المشي فمنها ما يمشي على أربع كالنعام [2]،قال أبو حيان:«قدم ماأظهرمن القدرة

ينظر القرآن ينبوع العلوم والعرفان لعلي فكري، دار إحياء الكتب العربية، ج 1ا ص148

[2]الإعجاز العلمي في القرآن الكريم ص194 د/عبد الله بن عبد العزيز

أعجب،وهو الماشي بغير آلة من رجل وقوائم ثم الماشي على رجلين ثم الماشي على أربع وهذا الاختلاف الواضح في الدواب في أشكالها وأحجامها وأصولها وأنواعها وألوانها،وهي خارجة من أصل واحد دليل قاطع على وجود الصانع القدير صاحب التدبير والتقدير،الذي أحسن كل شيء خلقه "، قال الذخر الرازي :«واعلم أن العقول قاصرة على الإحاطة بأحوال أصغر الحيوانات على سبيل الكمال ووجه الاستدلال بها على الصانع ظاهرة ،لأنه لو كان الأمر بتركيب طبائع الأربع فذلك بالنسبة إلى الكد على السوية فاختصاص كل واحد من هذه الحيوانات بأعضائها،وقواها ،ومقادير أبدانها،وأعمارها،ولابد أن يكون بتدبير مدبر[1]».

إضافة إلى ذلك يمكننا الإشارة إلى أنَّ كلَّ صنف من هذه الحيوانات بكافة أشكالها وأنواعها،وهذه الطيور أيضا و الحشرات ،كل صنف منها يمثل أمة مستقلة لها لغاتها،وعاداتها،ونمط حياة يختص بها وما يدل على ذلك هو قول المولى عزَّ وجلَّ **وَمَا** ﴿ **مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا طَٰٓئِرٖ يَطِيرُ بِجَنَاحَيۡهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمۡثَالُكُم ۚ مَّا فَرَّطۡنَا فِي ٱلۡكِتَٰبِ مِن شَيۡءٖ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ يُحۡشَرُونَ ﴿٣٨﴾** ﴾ الأنعام الآية 38

فهذا ما يثبت أنَّ الكائن هو الآخر يملك وسائل متنوعة ليتواصل وبني جنسه.

ولقد أثبتت الأبحاث العلمية الحديثة التي قام بها علماء التاريخ الطبيعي أنِّ الحيوان قد زوِّد بحواس تلائم بيئاته ،وصدق الله حيث يقول:﴿قَالَ رَبُّنَا الذي أَعطى خَلقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾

فكل هذه الآيات البينان أشارت إلى حقائق علمية اهتم بها وتناولها علم الحيوان ،فإذا نظرنا إلى عامة الناس نجدهم قد لايتعجبون من هذه الغرائب بما فيها من حكمة الخالق ودقته ؛ذلك لأنهم ألفوها .أما نظرت العلماء فهي تختلف عن عامة الناس،حيث انفتحت أبصارهم وكشفت بصائرهم ،فرأوا هذه العجائب فأعظموها وأدركوا قدرة الخالق فيها ...وهذا ما يعرف بالإعجاز العلمي.

[1] التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم مج5 ص232، 233 ط1 1431، 2010 .عن نخب من علماء التفسير بإشراف الدكتور مصطفى مسلم جامعة الشارقة .

الذي يظهر لنا في آيات عدة من خلق الله تعالى ،و التي من بينها آيات الله في خلق الطير والحشرات ،وهذا ما أثبته لنا الإعجاز العلمي من خلال القرآن الكريم .ففي خلق الحشرات نجد عالم النمل وما أثبته لنا القرآن الكريم من خلال لغة يتخاطب ،ويتفاهم بها فيما بينهم،وقد علّمها الله سيدنا سليمان عليه السلام .قال تعالى : ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوۡاْ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمۡلِ قَالَتۡ نَمۡلَةٞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمۡلُ ٱدۡخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمۡ لَا يَحۡطِمَنَّكُمۡ سُلَيۡمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ١٨﴾ سورة النمل الآية 18.

الآية دليل على أنّ للنمل لغة يتخاطب بها،وهذا ما أثبتته الأبحاث الحديثة بوسائلها العلمية الدقيقة عن حياة النمل الاجتماعية القائمة على التفاهم فيما بينها،وهذه اللغة تتجاذب بها أطراف الحديث بكلام خاص أو بإشارات مسموعة ،أو غير ذلك ممّا علّمه الله لنبيه سليمان عليه السلام ،كما يقوم هذا النمل بمشروعات جماعية مثل مد الطرق وإقامة الجسور وبناء المستعمرات ،ولا يمكن التعاون على كلّ هذه الأشياء إلاّ بالتفاهم بلغة متداولة بينها ،والنمل هو الوحيد الذي يتلاقى في مجتمعات للتعاون وتبادل المنافع ، كما أنّه الوحيد الذي يهتم بدفن موتاه ، مما يدل على حياة منظمة نشطة لها كيان ودستور يحكمها في كلّ سلوكها .كما عرّفتنا الشريعة الإسلامية بأنّ الحيوان له عالمه الخاص ،فله كيانه وخصائصه وطبائعه كعلم الإنسان وسطّر القرآن ذلك [1]في قوله تعالى :﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا طَٰٓئِرٖ يَطِيرُ بِجَنَاحَيۡهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمۡثَالُكُمۚ مَّا فَرَّطۡنَا فِي ٱلۡكِتَٰبِ مِن شَيۡءٖۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ يُحۡشَرُونَ ٣٨﴾ .﴾ سورة الأنعام الآية 38.

[1]القرآن وإعجازه العلمي ،محمد إسماعيل ،دار الثقافة العربية للطباعة ص 195.

الفصل الأوّل

1. تعريف الحيوان لغة واصطلاحا.
2. تصوير الحيوان في القرآن الكريم.
3. نظرة تاريخية عن مكانة الحيوان.

المبحث الأوّل: تعريف الحيوان لغة واصطلاحاً:

أوّلاً: تعريف الحيوان لغة:

الحيوان :اسم بمعنى الحياة ،الحيوان :جمع دواجن .كما أنّ حيوان فاعل من حَيِيَ حياة ، وحيواناً فهو حييّ، وكذلك حييَ :حَييتُ ،يحيا ،حياة وحيواناً فهو حي[1].

حيوان:أعصم في ذراعيه أو إحداهما بياض وسائره أسود أو أحمر.

حيوان: لبون حي.

حيوان: جمع(ح ،ي،ي)؛كلّ حي ناطق أو غير ناطق.

حيوان: مصدر حييّ؛حياة جسم نام حسّاس متحرك بالإرادة .

حيوان: حياة دائمة باقية لا يعقبها موت.

يقـــول تعـــالى:﴿وَمَا هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا لَهۡوٞ وَلَعِبٞۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَ لَهِيَ ٱلۡحَيَوَانُۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ٦٤﴾ سورة العنكبوت، الآية 64.

كما أنّ دار الحيوان: اسم من أسماء الجنّة، وهذا مصداقاً لقول المولى عزّ وجلّ في الآية السابقة الذكر؛أي دار الحياة التي لا موت فيها ولا تنغيص، ولا نفاذ فيها ولا نفي ولا تنقطع.

حيوان: من به غلظة وغباء، وبلادة

حيوان:كلّ ذي روح من إنسان، وبهائم وغير ذلك [2].

[1]- غريب القرآن لأبي بكر بن عزيز السجستاني،تحقيق مُحَمَّد أديب عبد الواحد ،دار النشر دار قتيبة سنة الطبع 1995.1416م،ط01 ج01 ص 195.

[2]- المصباح المنير معجم عربي عربي ،مكتبة لبنان ط/بلونين ميسرة ،تأليف العلامة مُحَمَّد بن علي الفيومي 770هـ.ص160.

قـــال تعـــالى: ﴿ وَمَاهَـٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا لَهۡوٞ وَلَعِبٞۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَ لَهِيَ ٱلۡحَيَوَانُۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ٦٤ ﴾ سورة العنكبوت، الآية 64.

جاء في تفسير فتح القدير:

" ثُمَّ أَشَارَ سُبْحَانَهُ إ لَى تَحْقِيرِ الدُّنْيَا وَ أَنَّهَا مِنْ جِنْسِ اللَّعِبِ وَ اللَّهْوِ، وَأَنَّ ا لدَّار عَلَى الْحَقِيقَةِ: هِيَ دَارُ الْآخِرَةِ فَقَال: وَما هذِهِ الْحَياةُ الدُّنْيا إ لَّا لَهْوٌ و لَعِبٌ مِنْ جِنْسِ مَا يَلْهُو بِهِا لصِّبْيَانُ وَيَلْعَبُونَ بِهِ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوانُ.

قَال ابْنُ قُتَيْبَةَ وَ أَبُوعُبَيْدَةَ:

إِنَّ الْحَيَوَانَ: الْحَيَاةُ، قَالَ الواحدي: وَهُوَ قَوْلُ جَمِيعِ الْمُفَسِّرِينَ ذَهَبُوا إلى أَنَّ مَعْنَى الْحَيَوَانِ هَاهنا: الْحَيَاةُ،وَأَنَّهُ مَصْدَرٌ بِمَنْزِلَةِ الْحَيَاةِ، فَيَكُونُ كَالنَّزَوَانِ وَالْغَلَيَانِ وَيَكُونُ التَّقْدِيرُ، وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِي دَارُ الْحَيَوَانِ، أَوْ ذَاتُ الْحَيَوَانِ، أَيْ دَارُ الْحَيَاةِ الْبَاقِيَةِ الَّتِي لَا تَزُولُ، وَ لَا يُنَغِّصُهَا مَوْتٌ، وَلَا مَرَضٌ، وَلَا غَمٌّ لَوْ كانُوا يَعْلَمُونَ شَيْئًا مِنَ الْعِلْمِ لَمَا آ ثَرُوا عَلَيْهَا الدَّارَ الْفَانِيَةَ الْمُنَغَّصَةَ."[1]

وعالم الحيوان: فرع من علم الأحياء المسمى التاريخ الطبيعي، وهو يبحث في الحيوانات من حيث بنيانه ، ونموه، وتصنيفه.

الحيوان: الحياة، كقوله تعالى ﴿ وَإنّ الدَارُ الآخرَة لَهيَ الحَيَوَان﴾؛ أي: الحياة والحيوان أيضاً كلّ ذي روح.

لقد وجد المفسرون صعوبة بالغة في تفسير كلمة حيوان فقالوا: الحيوان تعني الحياة الدائمة.[2]

وهـذا مصـداقاً لقولـه عـزّ وجـلّ: ﴿ وَمَا هَـٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا لَهۡوٞ وَلَعِبٞۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَ لَهِيَ ٱلۡحَيَوَانُۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ٦٤ ﴾ العنكبوت 64.

[1] – فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية لمحمد بن علي بن مُحَمَّد الشوكاني، دار المعرفة بيروت لبنان، ج4، ص 244.

[2] – ملتقى أرشيف أهل التفسير، ج 04، ص 2210.

يقول القرطبي في تفسيره، تقع على كلّ شيء حي، أو قد تعني عيناً في الجنّة، بل قال بعضهم أنّ أصل الكلمة هو "حييان" فأبدلت إحدى اليائيين واواً لاجتماع المثل، وهذا القول غريب؛ لأنّ العرب تغير الواو ياءاً إذا اجتمعت الواو الياء وسبقت أحدهما بالسكون مثل نوية من نوى، ينوي فهي نوية. ولكن لاجتماع الواو والياء وسبق أحدهما بالسكون قلبت الواو ياء وأدغمت الياء في الياء فصارت نية[1].

يقول ابن منظور عن الحيوان بأنّه :"الحي من كلّ شيء، نقيض الموت.

ولفظ الحيوان في التعبير القرآني يراد به الحياة الباقية التي لا موت فيها ؛لأنّ من صار إلى الآخرة بقي حياً لا يموت .[2]

والحيوان في اللغة أبلغ من الحياة، لما في بناء فعلان من الحركة والاضطراب اللازم للحياة كما أنّ لفظة الحيوان تفيد البقاء والديمومة، بخلاف كلمة الحياة، فإنّها تشمل معنى البقاء كقولنا الحياة الآخرة وتشمل التأقيت كقولنا الحياة الدنيا.

ثانياً:تعريف الحيوان في الاصطلاح:

عرّف العلماء الحيوان بأنّه :الجسم النامي الحسّاس المتحرك بالإرادة .وعلى ذلك يدخل في مسمّى الحيوان في المعنى الاصطلاحي كلّ حي متحرك بذاته كالأنعام من الإبل والبقر والخيل وكذلك الطيور ولأسماك والميكروبات والجراثيم ونحوها.[3]

[1]– تفسير القرطبي، أبوعبدالله مُحَمَّد بن أمُحَمَّد... شمس الدين القرطبي، دار الكتب المصرية القاهرة ص 552.

[2]– لسان العرب للإمام العلامة ابن الفاضل جمال الدين مُحَمَّد بن منظور الإفريقي المصري، دار صادر بيروت، مج/1،ج/3، ص425.

[3]– كشاف اصطلاحات، الفنون والعلوم ،المؤلف مُحَمَّد بن علي بن القاضي مُحَمَّد حامد بن مُحَمَّد صابر الفروقي الحنفي التهاتوي، تح د/علي دحروج ،دار النشر :مكتبة بيروت لبنان، ط/1، 1996م، ج/1، ص 549.

المبحث الثاني:الحيوان في القرآن الكريم:

لقد أثبتت الأبحاث العلمي الحديثة التي قام بها علماء التاريخ الطبيعي أنّ الحيوان قد زوّد بحواس تلائم بيئاته، كما نجد أنّ في الخالق للحيوان حكمة، وحقيقة علمية دقيقة، لا يمكننا معرفتها والوصول إليها، إلاّ بعد الوقوف عند دراسة أحد فروع علم الأحياء، وهو علم الحيوان إذ أنّ هناك آيات أو مواضع عدّة في القرآن الكريم تثبت لنا تصوير الحيوان في الكتاب الذي أنزله المولى بعلمه وإعجازه على آخر رسله، فكما أشرنا أنّ هناك صور عدّة نحول الوقوف عند بعضها.[1]

قال تعالى:﴿ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ ﴾ سورة الغاشية الآية 17.

يقول عبدالرزاق نوفل:"هل رأيت الآيات البينات التي تظهر واضحة في الجمل؟ ذلك الحيوان الذي يعيش في الصحراء حيث لا يتوفر الماء ولا الغذاء؟ وكيف يكتنز ما يكفيه من طول غيبة الطعام والشراب في سنامه؟ فهل هي قدرته؟ وهل يمكن للإنسان، مثلاً وهو الذي يخضع الحيوانات جميعها لخدمته أن يأكل فيكتنز، وهل رأيت تلك الأهداب الطويلة التي حول عينيه والتي هي أشبه بشبكة تحمي عينيه من ذرّات الرمال إذ هبّت عاصفة رملية أثناء سيره في الصحراء، وفي الوقت نفسه يستطيع الإبصار من هذه الشبكة، وبذلك لا يضطر إلى إقفال عينيه، كما نفعل لوقاية أعيننا من التراب، وهل رأيت أنفه الذي أُعدّ لكي يساعده على الحياة في الصحراء؟ فهو يتحكم في فتحه أثناء العواصف ليمنع دخول الرمل فيه. وهل رأيت شفة الجمل العليا؟ وهل عرفت لماذا تكون مشقوقة؟ يقول العلم إنّ ذلك قد هيئ ليساعده على أكل نباتات الصحراء التي غالباً ما تكون أشواكاً.[2]

إنّ هذا كلّه يبين لنا أنّ هناك حكم ربانية لكلّ عضو من هذه الأعضاء، فهذا يدعو إلى النظر في كلّ عضو منه فذلك أدعا إلى الإيمان بالخالق المبدع المصوّر، الذي أعطى كلّ شيء خلقه، فتبارك الله أحسن الخالقين.

[1]- الاعجاز العلمي في القرآن والسنة .أ.د / عبدالله بن عبد العزيز المصلح، ط/1،ص 196.

[2]- الإعجاز العلمي في القرآن والسنة أ،د/عبدالله بن عبد العزيز المصلح ص197.

أمّا عن النحل فتمثل وحي الله للنحل باتخاذ بيوتها من الجبال، وأكلها من الثمرات، وإخراج ما فيه شفاء للناس، قال تعالى: ﴿ وَأَوۡحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحۡلِ أَنِ ٱتَّخِذِي مِنَ ٱلۡجِبَالِ بُيُوتٗا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعۡرِشُونَ ٦٨ ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ فَٱسۡلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلٗاۚ يَخۡرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٞ مُّخۡتَلِفٌ أَلۡوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٞ لِّلنَّاسِۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ٦٩ ﴾ سورة النحل الآية 68،69.

ومن عجيب ما خلق الله، النحل حيث ألهمها باتّخاذ بيوت لها في الجبال وفي الشجر وفي البيوت، ونلاحظ أنّ هذا النحل يتّخذ هذه البيوت مسدسة الشكل دون غيرها من الأشكال، فقد ثبت أنّ الأشكال من المثلث إلى المعشّر إذا جمع كلّ واحد منها إلى أمثاله لم يتصل وحصل بينهما فرج إلاّ الشكل المسدس فإذا جُمعَ إلى أمثاله اتّصل وصار كأنّه قطعة واحدة، وقد اجمع الرياضيون على أنّه لايمكن أن يبني بناءً أقوى، وأوفر اتّساعاً لفقس البيض وخزن العسل بكمية مماثلة من الشمع الذي يبنيه النحل.[1]

ومما ضرب به المثل من الحشرات ذلك العنكبوت، صاحب البيت الضعيف، قال الله تعالى: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوۡلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلۡعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتۡ بَيۡتٗاۖ وَإِنَّ أَوۡهَنَ ٱلۡبُيُوتِ لَبَيۡتُ ٱلۡعَنكَبُوتِۖ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ٤١﴾ سورة العنكبوت الآية 41.

إنّ قوله (اتّخذت) في الآية الكريمة إشارة إلى حقيقة كشفها العلم الحديث تؤكّد أنّ الذي يبني البيت وينسج خيوطه هي الأنثى من العنكبوت ،وليس الذكر .

[1]– القرآن و عالم الحيوان، د/ عبد الرحمن مُحَمَّد، ص107.

فمن خلال الآيات الكريمات نجد المثل باتخاذ أولياء من دون الله كمثل العنكبوت وضعت بينها، فهي تتناول علاقة اجتماعية، وروابط عنها باتخاذ غير الله أولياء فهذه العلاقة وتلك الروابط، واهية جداً، وهي في ضعفها ووهنها كوهن بيت العنكبوت بما فيه من روابط وعلاقات.

و نجد الآية تذكر البيت ولم تذكر الخيط، فالثابت علمياً أنّخيط العنكبوت من أقوى الخيوط، وهو أقوى من مثليه من الصلب أربع مرات، فالوهن إذن في البيت لا في الخيط، وهذه دقّة في التعبير.

ثمّ إنّ العلم يؤكد أنّ بيت العنكبوت هو أسوأ ملجأ لمن يفكر الاختباء فيه، فهو مصيدة يقع فيه من الزوار الغرباء، وهو مقتل حي لأهله، فالعنكبوت الأنثى تفترس زوجها بعد التلقيح، كما أنها تأكل أولادها عند الفقس، والأولاد يأكل بعضهم بعضاً، فعندما نتأمل لهذه الرابطة الأسرية الواهية، نجد أنّ العلاقة العائلية معدومة، وأنّها إن وُجدت فهي تتصف بالوحشية، الافتراس والعدوان، ومن هنا كانت عظمة التشبيه وحكمته في من يتخذ من دون الله أولياء كمن يحتمي في بيت العنكبوت، فهو أسوأ ملجأ يؤدي به إلى أسوء مصير وعاقبه، ومن هنا كانت الآية مختومة بقوله عزّ وجلّ ﴿ لو كَانُوا يَعلَمُونَ﴾.[1]

أمّا عن عالم النمل، فقد أثبت القرآن الكريم أنّ له لغة يتخاطب ويتفاهم بها فيما بينهم ،وقد علّمها الله سليمان عليه السلام، قال تعالىُ : ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوۡاْ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمۡلِ قَالَتۡ نَمۡلَةٞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمۡلُ ٱدۡخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمۡ لَا يَحۡطِمَنَّكُمۡ سُلَيۡمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ١٨ ﴾ الآية 18 سورة النمل.

الآية دليل على أنّ للنمل لغة يتخاطب بها، وهذا ما تثبته الأبحاث الحديثة بوسائلها العلمية الدقيقة عن حياة النمل الاجتماعية القائمة على التفاهم فيما بينها، وهذه اللغة تتجاذب بها أطراف الحديث بكلام خاص أو بإشارات مسموعة أو غير ذلك مما علّمه الله لنبيه سليمان عليه السلام، ويقوم هذا النمل بمشروعات جماعية مثل مد الطرق، وإقامة الجسور وبناء المستعمرات ولايمكن التعاون على كلّ هذه الأشياء إلاّ بالتفاهم بلغة متداولة

[1]– القرآن وإعجازه العلمي، مُحَمَّد اسماعيل إبراهيم، دار الفكر العربي، دار الثقافة العربية للطباعة، ص155 .

بينها، والنمل هو الوحيد الذي يتلاقي في كلّ مجتمعات للتعارف وتبادل المنافع، كما أنّه الوحيد الذي يهتم بدفن موتاه ممايدل على حياة منظمة نشطة لها كيان ودستور يحكمها في كلّ سلوكها.[1]

وهكذا يثبت العلم ما أثبته القرآن الكريم منذ أربعة عشر قرناً مضت، إنّه الإعجاز العلمي لهذا الكتاب العظيم الذي لايأتيه الباطل من بين يديه ولامن خلفه.

أمّا عن عالم الطير، فهناك ما يزيد عن ثمانية آلاف وستمائة نوع من الطير، تتفاوت حجماً من الطائر الطنان أصغرها إلى النعامة أضخمها، والطيور متباينة الألوان والأصوات، والبيئات، أصناف الغذاء لكنّها تؤلف طائفة متميزة من الحيوانات لها خصائص كثيرة متماثلة.[2]

كما أنّ الطير من بين الحيوانات المذكورة في القرآن الكريم، وذلك في مواضع عدّة بيّنت آيات الإعجاز العلمي لهذا الصنف من الحيوانات، ويتمحور، ويتجسد هذا الإعجاز من خلال بعض الآيات والتي من بينها[3]:

قول المولى عزّ وجل ﴿ أَلَمۡ يَرَوۡاْ إِلَى ٱلطَّيۡرِ مُسَخَّرَٰتٖ فِي جَوِّ ٱلسَّمَآءِ مَا يُمۡسِكُهُنَّ إِلَّا ٱللَّهُۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ٧٩ ﴾ سورة النحل، الآية 79.

﴿فَفَهَّمۡنَٰهَا سُلَيۡمَٰنَۚ وَكُلّٗا ءَاتَيۡنَا حُكۡمٗا وَعِلۡمٗاۚ وَسَخَّرۡنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلۡجِبَالَ يُسَبِّحۡنَ وَٱلطَّيۡرَۚ وَكُنَّا فَٰعِلِينَ ٧٩ ﴾ الأنبياء الآية 79.

﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱلطَّيۡرُ صَٰٓفَّٰتٖۖ كُلّٞ قَدۡ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسۡبِيحَهُۥۗ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِمَا يَفۡعَلُونَ ٤١ ﴾ سورة النور، الآية 41.

[1]– القرآن وإعجازه العلمي، مُحَمَّد إسماعيل إبراهيم، دار الفكر العربي دار الثقافة العربية للطباعة، ص156.

[2]– الموسوعة الكونية الكبرى ج 12 آيات الله في ممالك الطير والنحل والنمل والحشرات ،د/ماهر الصوفي ص92.

[3]– الموسوعة الكونية الكبرى آيات الله في ممالك الطير والنحل والنمل والحشرات ،د/ماهر أحمد الصوفي ص 92.

﴿وَحُشِرَ لِسُلَيۡمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ وَٱلطَّيۡرِ فَهُمۡ يُوزَعُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ سورة النمل الآية 17.

﴿وَوَرِثَ سُلَيۡمَٰنُ دَاوُۥدَۖ وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمۡنَا مَنطِقَ ٱلطَّيۡرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيۡءٍۖ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡفَضۡلُ ٱلۡمُبِينُ ﴿١٦﴾ ﴾ النمل الآية 16.

﴿وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيۡرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَآ أَرَى ٱلۡهُدۡهُدَ أَمۡ كَانَ مِنَ ٱلۡغَآئِبِينَ ﴿٢٠﴾ ﴾ سورة النمل الآية 20.

﴿ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضۡلٗاۖ يَٰجِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُۥ وَٱلطَّيۡرَۖ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلۡحَدِيدَ ﴿١٠﴾ ﴾ سورة سبأ الآية 10.

﴿أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ إِلَى ٱلطَّيۡرِ فَوۡقَهُمۡ صَٰٓفَّٰتٖ وَيَقۡبِضۡنَۚ مَا يُمۡسِكُهُنَّ إِلَّا ٱلرَّحۡمَٰنُۚ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيۡءِۭ بَصِيرٌ ﴿١٩﴾ ﴾ سورة الملك الآية19.

﴿وَمَا مِن دَآبَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا طَٰٓئِرٖ يَطِيرُ بِجَنَاحَيۡهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمۡثَالُكُمۚ مَّا فَرَّطۡنَا فِي ٱلۡكِتَٰبِ مِن شَيۡءٖۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ يُحۡشَرُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾ **سورة الأنعام** الآية 38.

ويقول تعالى عن الطير في الجنّة ﴿وَفَٰكِهَةٖ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَحۡمِ طَيۡرٖ مِّمَّا يَشۡتَهُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ سورة الواقعة الآيتان 20،21.

فمن خلال الآيات الكريمات، لاشكّ أنّها تلفت أنظار المؤمنين إلى آيات الإعجاز من خلال تصوير الطير في القرآن الكريم، إذ يكمن المعنى لآيات الإعجاز العلمي في الطير من حيث هذه الآيات كما هي مرتبة في:[1]

* أنّ الله سبحانه هو الذي يمسك هذا الطير في جو السماء.

أنّ الطير تسبح الله سبحانه.

* أنّ الطير تصلّي لله سبحانه.

* أنّ الطير يوحى إليها الله ما يشاء ،وتنفّذ أمر الله سبحانه.

* أنّ للطير منطقاً وكلاماً.

* أنّ الهدهد من دون الطيور له ميزة خصّه الله سبحانه بها.

* أنّ الطير كانت تُؤَوّب مع داود وتسبح.

* أنّ الطير إذا بسطت جناحيها أو قبضتها،فإنّ الله وحده يمسكهنّ في جو السماء.

* أنّ الطير أمّة من الأمم مثل أمّة الإنسان.

* أنّ الله سبحانه جعل الطير لجماله وطيب لحمه ،طعام أهل الجنّة.[2]

أمّا عن الآية 41 من سورة النور عند قوله تعالى:﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلطَّيْرُ صَٰٓفَّٰتٍ ۖ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسْبِيحَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٤١﴾ ﴾ ؛فقوله تعالى :﴿أَلَمْ تَرَ ﴾ تنبيه لدلائل الإعجاز الإلهي، فإنّ كلّ من في السموات والأرض يسبّح الله سبحانه، ثمّ ذكر سبحانه الطير الصافات وخصّها دون الحيوانات بالصلاة.فما السر في ذلك؟

[1]- الكتاب السابق، ص193.

[2]- الموسوعة الكونية الكبرى آيات الله في ممالك الطير والنحل والنمل والحشرات ،د/ ماهر الصوفي ج/12، ص93/92 .

وهل فعلاً للطيور صلاة؟ أم لها التسبيح فقط؟ و هل صفة التسبيح عند الطير تجمع بمعناها بين الصلاة والتسبيح وعلى هذا يكون للطير تسبيح ولا تكون له صلاة.[1]

فكلّ هذه الأسئلة وضّحها مجموعة من المفسرين من خلال تفاسيرهم .فلنستمع إلى " الفخر الرازي" في تفسيره حول هذه الآية الكريمة، أمّا قوله تعالى : (والطير صفات) فالقائل أن يقول ما وجه اتصال هذا بما قاله ؟

والجواب :أنّه سبحانه لما ذكر أنّ أهل السموات وأهل الأرض يسبّحون، ذكر أنّ الذين استقروا في الهواء الذي هو بين السماء والأرض، وهو الطير يسبحون، وذلك لأنّ إعطاء الطير القوة التي بها يقوى على الوقت في جوّ السماء صافة أجنحتها بما فيها من القبض والبسط من أعظم الدلائل على قدرة الصانع المدبّر سبحانه، وجعل طيرانها سجوداً منها له سبحانه وذلك يؤكد ماذكرناه من أنّ المراد من التسبيح دلالة هذه الأحوال على التنزيه لا النطق اللساني .

أمّا قوله: ﴿كلٌّ قَد عَلِمَ صَلاَتَه وَتَسبيحَهُ ﴾ ففيه ثلاثة أوجه:

الأول: المراد كلّ قد علم الله صلاته وتسبيحه قالوا ويدل عليه قوله سبحانه:﴿ والله عَليمٌ بمَا يَفعَلُونَ﴾ وهو اختيار جمهور المتكَلمين.

الثاني: أن يعود الضمير في الصلاة والتسبيح على لفظ كل؛ أي أنّهم يعلمون ما يجب عليهم من الصلاة و التسبيح.[2]

الثالث :أن تكون الهاء راجعة على ذكر الله؛ يعني قد علم كل مسبّح وكل مصلي صلاة الله التي كلّفه وإيّاها وعلى هذين التقديرين فقوله :﴿ وَاللهُ عَليمٌ﴾ استئناف.

وروي عن أبي ثابت قال: كنت جالساً عند محمّد بن جعفر الباقر– ﷺ – فقال لي: أتدري ماتقول هذه العصافير عند طلوع الشمس وبعد طلوعها؟ قال:لا.

[1] – الموسوعة الكونية الكبرى الجزء 12 آيات الله في ممالك الطير والنحل والنمل والحشرات د/ماهر أحمد الصوفي، ص91.

[2] – محاضرات في التفسير الموضوعي ،د/عباس عوض الله عباس، دار الفكر آفاق معلقة متجددة ، دمشق، ط/ 01 ، 1428هـ/ 2007م، ص440.

قال: فإنّهنّ يقدسنّ ربّهنّ ويسألنه قوت يومهن، واستبعد المتكلمون ذلك، فقالوا: الطائر لو كانت كالعقلاء الذين يفهمون كلامنا، وإشاراتنا ،لكنّها ليست كذلك، فإنّ نعلم بالضرورة أنّها أشد نقصاناً من الطفل الذي لايعرف هذه الأمور فإن يمتنع ذلك فيها أولى، وإذا ثبت أنّها لا تعرف الله تعالى استحال كونها مسبّحة له بالنطق ،فثبت أنّها لا تسبّح الله إلاّ بلسان الحال على ما تقدّم تقريره[1].

الدلالات المستنبطة من الآيات البينات:

إنّ علماء التفسير وقفوا وعند تفسيرهم لآيات الطير على دلالات وذلك استنباطا من الآيات التي وضّحت الإعجاز العلمي للطير والتي نعرض منها ما يلي:

في تفسير أبي السعود للآية 79 من سورة النحل– ذكرت الآيات سابقاً –نجده يقول عن الطير :ألم ينظروا إليها مسخرات ، مذللات للطيران بماخلق لها من الأجنحة ،والأسباب المساعدة له.

أمّا عن الآية الثانية (الأنبياء 79)، فنجد أنّ هذه الآية تتحدّث عن النبيين الكريمين الأب داود وابنه سليمان عليه السلام، ويتبين ما أنعم الله تعالى به عليها من النعم الكثيرة. وخصص سليمان عليه السلام بتسخير الرياح التي جعلها الله تجري بأمره إلى الأرض المباركة، وهو ما ذكرته الآية.

قال تعالى :﴿ فَسَخَّرۡنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجۡرِي بِأَمۡرِهِۦ رُخَآءً حَيۡثُ أَصَابَ ﴿٣٦﴾ ﴾ سورة ص، الآية 36.

كلّ ذلك بعلم الله المطلق المتعلق بكلّ شيء، وسخر له الجنّ الذين يغوصون في قاع البحار ويعملون أعمالاً دون ذلك، سامعين مطيعين يسخرهم كيف يشاء. قال تعالى :﴿وَٱلشَّيَٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٖ وَغَوَّاصٖ ﴿٣٧﴾ وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي ٱلۡأَصۡفَادِ ﴿٣٨﴾ هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمۡنُنۡ أَوۡ أَمۡسِكۡ بِغَيۡرِ حِسَابٖ ﴿٣٩﴾ ﴾ سورة ص الآية، 39/37.

[1]– ينظر تفسير القرآن العزيز، لابن أبي زمنين، المجلد 3، ص 297.

ومع هذا فإنّ الله تعالى كان حافظاً لهم فلا يستطيعون هرباً، ولا إفساداً، ولقد كان النبيان الكريمان شاكرين الله، وذلك من تمام معرفتهما بالله تعالى وتوحيده، بشرية الرسل ثابتة، وحاجتهم إلى معونة الله تعالى وهدايته طاهرة يتجلّى ذلك في قوله تعالى: ﴿وَسَخَّرنَا مَعَ دَوُدَ﴾[1].

أمّا عن الآية 41 من سورة النور، فهي تقدم مجموعة من الآثار الكونية الدالة على وحدانية الله وعظمته تعالى، وقد درج القرآن الكريم في كثير من مظاهر صنع الله تعالى في السموات والأرض، فالكون كله يسبّح لله تعالى، انسه وجنه، أرضه وسماؤه، وطيره، وحيوانه... كلٌّ منهم انتظم صلاته وتسبيحه لله تعالى فهم يُسبّحون لله تعالى، وكذلك الطير الصافات أرجلها وهي طائرة في الفضاء تسبّح لله تعالى.[2]

أمّا ما يخص الآية (16) من سورة النمل، فنرى أنّ في هذه الآية، بيّن سليمان– عليه السلام– أنّه كان يفهم لغة الطير، ويكلّمها وتكلّمه وهو أمر عجيب، فالوضع الطبيعي أنّ الإنسان لا يفقه لغة الطير، و لا الحيوانات، وما نعلم أحداً من الناس علم ذلك إلاّ أن يكون نبياً، ولذلك فإنّ السياق الطبيعي لهذه النعمة الربّانية على سليمان أن تدرج ضمن المعجزات التي أُيّد بها.[3]

وفي الآية (38) من سورة الأنعام، نجد أنّ الضمير في علمنا و أوتينا: يُحتمل أن يكون لسليمان عليه السلام وأبيه ...ويُحتمل أن يكون فقط لسليمان، وحديث سليمان عن نفسه يأتي تشهير لنعمة الله، واعترافاً بمكانها، ودعاءً للناس إلى التصديق بذكر المعجزة التي هي علم منطق الطير وغير ذلك مما أوتيه من عظائم الأمور.[4]

و قد ذكر كثير من المفسرين أنّ سليمان – عليه السلام – عُلّم منطق الطير لأنّها نعمة خاصّة به لا يشاركه فيها غيره، وإنّما ذكر الطير كان جنداً من جنده، يسير معه لتظليله من الشمس.

و هذا ليس بمستبعد فالقرآن الكريم ذكر لنا أيضاً أنّ سليمان – عليه السلام – فهم كلام النملة، حينما أتى هو وجيشه على واد النمل.

[1]- التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، تح/ د/ عبد القادر عرفات ،دار الفكر بيروت د ط/ مج 05، ص 231.
[2]– التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، المرجع نفسه، ص231.
[3]– البيضاوي تفسير البيضاوي ، تح/ محمّد العيد مج/01، ص 555.
[4]– الكشاف، الزمخشري، ج3، ص 342.

ونحن نعلم من خلال إدراكنا لطبيعة الحيوانات، وكيفية حياتها، أن لها لغة خاصّة تتخاطب بها فيما بينها بحيث تفهم على بعضها، ومن يراقب حياة الحيوانات يدرك أنّ أصواتها ليست على وتيرة واحدة، ولا على نبرة مطردة، فصوت الحيوان حينما يكون جائعاً: يختلف عن صوته حينما يكون غاضباً، ويريد الفساد مثلاً.

و قد اجتهد كثير من الباحثين من العصر الحاضر، فعرفوا كثيراً من لغات الطيور، أي تنوع أصواتها، لأداء أغراضها المختلفة، من حزن وفرح، وحاجة إلى طعام وشراب، واستعانة من عدو...إلى نحو ذلك من الأغراض القليلة التي جعلها الله للطير، وإنّك لتعجب إذا ترى اليوم أنّ كثيراً من الأمم تبحث عن لغات الطيور والحيوان والحشرات كالنمل والنحل، وتبحث في تنوع أصواتها لتنوّع أغراضها.[1]

يقول صاحب الظلال:

"وللطيور والحيوان والحشرات وسائل للتفاهم، هي لغاتها ومنطقها فيما بينها ، بحيث هي أمم أمثالنا، ولا تكون أمماً حتى تكون لها روابط معينة تحيا بها، ووسائل معينة للتفاهم فيما بينها، وذلك ملحوظ في حياة أنواع كثيرة من الطيور والحيوان والحشرات، ويجتهد علماء هذه الأنواع في إدراك شيء من لغاتها، ووسائل التفاهم بينها، عن طريق الحدس والظن، لاعن الجزم واليقين ".

قال ابن كثير:

"أخبرنا سليمان بنعم الله عليه، فيما وهبه له من الملك التام، والتمكين العظيم، حتى أنّه سخرت له الإنس والجن والطير، وكان يعرف لغة الطير والحيوان أيضاً، وذا شيء لم يعطه أحد من البشر فيما علمناه مما أخبر الله ورسوله".[2]

وليست الآية على إطلاقها، وإنّما هي عامة مخصوصة.

[1] – تفسير المراغي، المراغي أحمد مصطفى، دار إحياء التراث العربي بيروت، ط/3، 1394هـ/ 1974م، ص128/127/19.

[2] – تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، مؤسسة الكتب بيروت ط/05، ص 359.

قال الإمام أبو حيان رحمه الله :

"ظاهرة العموم، والمراد الخصوص .أي :من كل شيء يصلح لنا ونتمناه، وأُريد به كثير مما أُوتي ،وكأنّه مستغرق لجميع الأشياء.[1]

وبمثل هذا القول ،قال أبو جعفر النحاس:أي من كل شيء يؤتاه الأنبياء والناس، وهذا على التكثير، كما يقال: ما بقيتُ أحداً حتى كلّمته في أمرك[2].

وقال بعض العلماء: "إنّ نشاهد أنّ للطيور وسائر الحشرات أعمال عجيبة يعجز عنها أكثر العقلاء، وإذا كان كذلك فلم لا يجوز أن يلهمها معرفته وتسبيحه".

فمن خلال تفسير الرازي نفهم أنّه أكّد صلاة الطير ،وذلك بإلهام الخالق لها بما تفعل .

ولكنّ السؤال كيف أُلهمت هذه الطيور فعل الصلاة والتسبيح وهي غير عاقلة ، ولاتحمل دماغاً يفهم أمر التكليف من صلاة وذكر وتسبيح...، إذن هنا المعجزة الإلهية، فقد ألهم الله ما هو أصغر من الطير بكثير، كيف تعيش حياتها ؟وكيف تكون مسبّحة وذاكرة الله سبحانه ومثلها كثير، كالنحل والحشرات...، والله سبحانه يريد أن يعلّمنا أنّه ما من خلق خلقه كبر حجمه أو صغر إلاّ وهو طائع له مسبّح ذاكر ومصل لله سبحانه، حتى لا يتكبّر الإنسان على طاعة الله وعبادته والإيمان به.[3]

قال تعالى :﴿ فَإِنِ ٱسْتَكْبَرُواْ فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْـَٔمُونَ ۩ ﴿٣٨﴾ ﴾ سورة فصلت الآية 38

[1]- البحر المحيط، أبو حيان مُحَمَّد بن يوسف الأندلسي الغرناطي ، دار الفكر بيروت، ط /2، 1398هـ/1978م، ص59/7.

[2]- معاني القرآن، النحاس أبو جعفر، دار الحديث(القاهرة)، تحقيق د.يحي مراد، ص871/2.

[3]- شرح صحيح مسلم، النووي، ج13، ص160.

ويقـــول تعـــالى:﴿ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا ٤٤ ﴾ ســـورة الإسراء الآية 44.

إذن ومن خلال هذا كلّه، فنحن ملزمون بالمحافظة على الحيوان ومراعاته وهذا ما قررته الشريعة الإسلامية، وذلك بوضع قاعدة وجوب المحافظة على الحيوان المملوك، وغير المملوك المباح، وذلك بتأمين كل ما يحتاجه الحيوان للبقاء حياً،من الطعام والسقاء، والمعالجة والراحة من العمل، ورتبت على ترك الإنسان العناية والمحافظة على دوابه، والدواب غير المملوكة، إن هي احتاجت لشيء من ذلك، الإثم والعقوبة الأخروية .

ومفهوم المحافظة على الحيوان يشمل جانب الوجود من حيث تأمين ما تقوم به حياته من مأكل وسقاء ومعالجة وإراحة من العمل، إذ بدونها يكون الحيوان في مهلكة وعذاب، والشريعة ترفض ذلك وتنفيه ،وهو بعينه – ترك المحافظة – نقيض المحافظة الذي قررته الشريعة، كما أنّ مفهوم المحافظة يشمل جانب العدم، وذلك بعدم جواز قتل الحيوان لغير مصلحة، أو فائدة معينة أو بقطع طرف من أطرافه أثناء حياته.

إذ بفعل ذلك يكون فساد في الأرض كما تقرر، والأدلة القاضية بوجوب المحافظة على الحيوان من جانب الوجود والعدم ،إما أن تكون أدلة إجمالية كلية ،أو أدلة تفصيلية .[1]

1- الأدلة الناهية عن الفساد في الأرض،كقوله تعالى: ﴿وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ لِيُفۡسِدَ فِيهَا وَيُهۡلِكَ ٱلۡحَرۡثَ وَٱلنَّسۡلَۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَسَادَ ٢٠٥ ﴾ سورة البقرة الآية 205.

والإفساد في الأرض وإهلاك النسل يشمل قتل الحيوان الذي لايحل قتله بحال، والذي يحل قتله في بعض الأحوال إذا قتله بغير حق لأن الله لم يخصص من ذلك شيئا دون شيء بل عممه، وإذا كان القتل يصرف إلى إرهاق الروح

[1]- تفسير الإمام مُحَمَّد بن جرير الطبري، تح/ معالي الشيخ د/ عبد الله عبد المحسن التركي، طبعة دار هجر بمصر ط/ 1 1422هـ /2001م، ص120.

بمباشرة الفعل المؤدي لذلك، فإنه يدخل في هذا المفهوم أيضاً إجاعته وعدم تقديم السقاية له، وعدم معالجته وإراحته؛ لأنه في الحقيقة قتل معنى ويؤول إليه في النهاية[1].

2 – عموم الإحسان إلى الحيوان، في قوله عليه الصلاة والسلام :" إنّ الله تعالى كتب الإحسان على كلّ شيء، فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة وليحد أحدكم شفرته، وليرح ذبحته."

ومن الإحسان إطعام وإسقاء الحيوان ومعالجته إن مرض، لأنّ في تطبيبه إحياء له، وكذلك إراحته من العمل، ومن الإحسان أيضاً ألاّ يقتل إلاّ للأكل، فلا يصح قتله لهواً أولعباً.

ومن الإحسان قوله ﷺ:" في كلّ كبد رطبة أجر"، وهذا عام في أي نوع من أنواع الأحياء، بأنّ الإحسان يكون بسقيه وإطعامه وغير ذلك من وجوه الإحسان.

و كذلك قوله عليه الصلاة والسلام: "ما من مسلم يغرس غرساً أو يزرع زرعاً فيأكل منه طيراً أو إنساناً إلاّ كان لديه صدقة ".[2]

3– الرحمة المقررة في قوله عليه الصلاة والسلام :"من لا يرحم لا يرحم"، قال في الفتح ما نصه فيه – الحديث – الحضن على استعمال الرحمة لجميع الخلق، فيدخل المؤمن، والكافر، والبهائم المملوك منها وغير المملوك، ويدخل في الرحمة التعاهد بالإطعام والسقي والتخفيف في الحمل وترك التعدي بالضرب.[3]

[1] – شرح صحيح مسلم، الطبري، ج 2، ص160.

[2] – صحيح البخاري بشرحه فتح الباري كتاب الحرث باب فضل الزرع والغرس، البخاري، ر/2320،ج05، ص 05.

[3] – صحيح البخاري، البخاري بشرحه فتح الباري كتاب الأدب باب رحمة الولد وتقبيله، ر الحديث 6013، ج/10، ص439.

المبحث الثالث:نظرة تاريخية عن مكانة الحيوان:

عرّفتنا الشريعة الإسلامية بأنّ الحيوان له عالمه الخاص، فله كيانه وخصائصه وطبائعه كعالم الإنسان، وسطّر القرآن الكريم ذلك في قوله تعالى: ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا طَٰٓئِرٖ يَطِيرُ بِجَنَاحَيۡهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمۡثَالُكُم ۚ مَّا فَرَّطۡنَا فِي ٱلۡكِتَٰبِ مِن شَيۡءٖ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ يُحۡشَرُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾ سورة الأنعام الاية38.

ونظم الإسلام العلاقة المتبادلة بين الإنسان وسائر المخلوقات على الأرض، وفق أسس ومبادئ معينة مفادها سيادة الإنسان، وأنّ الكون بما فيه مسخّر له، إلا أن هذه السيادة وما تنطوي على تسخير المخلوقات له محكومة ومقيدة بضوابط وقواعد لا يجوز للإنسان أن يتجاهلها إبّان استغلاله للمخلوقات، والاستفادة منها فكانت تصرفات الإنسان مبنية على قاعدة الرفق والرحمة بكل ذي كبد رطبة والرحمة التي تطالب بها الشريعة الإنسان في تعامله مع الحيوان . باعتباره أحد أصناف المخلوقات في الأرض ـ لاتختلف عن الرحمة المطلوب التعامل بها بين البشرية.[1]

لعموم قول المصطفى ﷺ:" الراحمون يرحمهم الرحمن ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء "حديث صحيح، رواه أبي داود، والترمذي.[2]

فالحديث يطالب الإنسان بالرحمة لكل من في الأرض ممن يستوعبهم مفهوم الرحمة، ومن ذلك الحيوان ،يقول عليه الصلاة والسلام في هذا المعنى "من أعطى حظه من الرفق فقد أعطى حظه من الخير" حديث حسن صحيح.[3]

وقد كان بعض الصحابة ﷺ ستهينون بأمر الحيوان، ولا يعتقدون أن الإحسان إليه يبلغ مبلغ الإحسان على الإنسان فيستحقون عليه أجرا، ولذلك قالوا: وإن لنا في البهائم أجرا فبين لهم الرسول عليه الصلاة والسلام بأن الإحسان إلى الإنسان وإلى الحيوان في معنى واحد لا اختلاف بينهما .

[1] – الأهمية الاقتصادية للحيونات عدا الحشرات، أحمد حسين، ص665.

[2] – كتاب البر والصلة باب ما جاء في الرفق ، الترمذي، ر/(2012) ج3، ص117.

[3] – البحاري مُحَمَّد بن اسماعيل:الجامع الصحيح مكتبة دار السلام، ومكتبة دار الفيحاء.ط1،1997، ج 5، ص50.

ولذلك قيل: "في كل كبد رطبة أجراً".[1]

وقال: "إن الله تعالى كتب الإحسان على كل شيء ".[2]

فالإسلام أقام هدايته على أساس الرحمة والرأفة المحفوفة بالحكمة، والرحمة تبعت النفوس مبعث الرفق والإحسان، وعلى هذا الطريق جاءت الأحكام والآداب الخاصة بالتصرف في الحيوان .

والمتصفح للسنة الشريفة يجد فيها من الخصوص ما يشكل مجموعها أساس للنداءات والهتافات الخيرة، والتي تنادي إلى الرفق بالحيوان، والتي تمخض عنها إنشاء جمعيات الرفق بالحيوان فتبين من ذلك السبق الذي حازته الشريعة في هذا المضمار الأخلاقي، فالشريعة العراء قد نادت بالمعاملة الحسنة للحيوان قبل أن تدرك الحضارات الإنسانية اليوم أحقية الحيوان بهذه الممارسات الأخلاقية، بل وقبل أن تنشأ بريطانيا جمعية الرفق بالحيوان الملكية عام 1824، وفي هذا دليل كاف على إنسانية الشريعة، ورحمتها الواسعة بل شمولها وأخلاقيات أحكامها.[3]

فقد جاء في السنة تحريم إرهاق الحيوان بالعمل وتحريم حرمانه من الطعام والسقاة أو من صيده بقصد التلهي و اللعب به لغير فائدة الطعام وغير ذلك، كما تقرر أن جناية الدابة جُبار، أي هدر، فهي لا تعاقب بما جنته على غيرها، والذي يحاسب هو صاحبها إذا فرط في الحفظ، وغير ذلك من الأحكام.

وقررالفقهاء أن نفقة الحيوان واجبة على مالكه، فإن هو أمتنع أخبر على ذلك، أو على بيعه، وتدخل القضاء في إيجاب النفقة للحيوان دليل واضح وصريح في اهتمام الشريعة بالحيوان والمحافظة عليه من التلف هذا في مجال عناية الفرد بالحيوان.

أما عن عناية الدولة فقد كان الخلفاء يأمرون أفراد الشعب بالرفق بالحيوان وعدم أذيته، فهذا عمر بن عبد العزيز رحمه الله يبعث برسالته إلى الولاة يطلب منهم أن ينهوا الناس عن ركض الفرس في غير حق، وكتب إلى صاحب

---

[1]- صحيح البخاري بشرحه كتاب الشرب والمسافات باب سقي الماء، البخاري ر/2363.

[2]- صحيح مسلم بشرح النووي كتاب الصيد والذبائح باب الأمر بإحسان الذبح والقتل، مسلم، ر/ 5028، ج 13، ص107.

3- مجلة نور الاسلام الرفق بالحيوان، مُحَمَّد الخضر الحسين، ج/3، ص83.

السكك وهي وظيفة تشبه دائرة السير أن لا يسمحوا لأحد بإلجام دابته بلجام ثقيل، أو أن ينخسها بمقرعة في أسفلها حديدة.[1]

وكان من وظائف المحتسب في الدولة أن يمنع تحميل الدواب فوق ما تطيق وأن يسوقها صاحبها سوقا شديدا تحت الأحمال، فقد جاء في نهاية الرتبة ما نصه ويجبر المحتسب أصحاب الدواب على فعل ذلك لما فيه من المصلحة، ولا يحملون الدوا ب أكثر من طاقتها، ولا يسوقونها سوقا شديدا تحت الأحمال، ولا يضربونها ضربا قويا ولا يوقعونها في العراص . الساحات العامة- وعلى ظهورها أحمالها، فإن هذا كله نهت الشريعة المطهرة عن فعله، وعليهم أن يراقبوا الله عز وجل في علف الدابة وعليقها، ويكون موفرا عليها بحيث يحصل به الشبع، ولا يكون منجوسا، نجسا، ولاتزرا .

وإذا نظرنا إلى المؤسسات الاجتماعية في الدولة الإسلامية، والتي من اختصاصها نشر البر والتعاون، ومساعدة المحتاج والفقير والرفع من سويته، لوجدنا أن للحيوان نصيبا وافرا من نشاطات المؤسسات الخيرية، فقد سرد لنا التاريخ أنه بدمشق أوقاف على الحيوانات، ويقال أن مرجة دمشق التي هي اليوم منثره الحضارة وقفا على الخيل التي تعبت في الجهاد وأسنت، حيث يقدم لها الطعام والشراب وتقضي أيامها الأخيرة في هدوء وراحة حيث يقوم موظفون برعايتها على حساب الوقت وذلك أن بعض المجاهدين قديما عندما كبرت جيادهم وعجزت قرروا تسريحها جائعة وعاجزت عن طلب رزقها، أو قاتلوها للتخلص منها ومن النفقة عليها ،فكان الوقف عليها منجيا لهذه الحيوانات التي بذلت جهدا كبيرا في سبيل الله ،هذا ولم يكتف أهل التقوى على أن يكون الوقف للخيل فقط، ففي مدينة حلب يوجد حتى اليوم جامع قرب مدينة باب النصر، وكان يلحق بهذا الجامع دار اسمها دار القطط، وكانت هذه الدار وقفا للقطط تأكل وتعيش فيها، حيث يأوي فيها مئات القطط، ولعل صاحب هذا الوقف أوقفها للقطط لحديث:"دخلت امرأة، النار في هرة ربطتها فلا هي أطعمتها ولاهي أرسلتها تأكل من خشاش الأرض حتى ماتت".[2]

[1]- المجلة الأردنية في الدراسات الإسلامية حقوق الحيوان إصدار بدعم من صندوق البحث العلمي جامعة آل البيت، المجلد 2 العدد1، ص28.

[2]- كتاب السلام باب تحريم قتل الهرّة، مسلم ، صحيح مسلم بشرح النووي ، حديث رقم: 5813، ج 13، ص 459.

ففعل ذلك خوفا من أن يقع في المحظور الديني، ويذكر التاريخ أيضا أنه كان بمصر وقف لإطعام الكلاب ولربما أوقفه صاحبه لحديث:"غفر لإمراة موسى مرت بكلب على رأس ركي يلهث قال، كاد يقتله العطش فنزعت خفها فأوثقته بخمارها فنزعت له من الماء فغفر لها بذلك"[1].

وهناك أوقاف أخرى كثيرة من نوع ما ورد تدل على أن المسلمين هم أول من نادي وطالب بالرفق بالحيوان وجعل هذا من أصوله وأحكامه التي نظم لتحقيقها القواعد والضوابط وفي هذا دليل كاف على إنسانية الشريعة واحترامها لكل ذي روح.

ولبيان وضع ومكانة الحيوان في الحضارات الأخرى ،فإننا نقتبس جزءامن الأحكام الخاصة به في مختلف الحضارات على سبيل الاستدلال :

أولا:الحيوان في شريعة اليهود: لم يكن حال الحيوان عندااليهود في شريعتهم كما هو عند المسلمين، فقد كان الحيوان عندهم يحاسب على أعماله وكأنه إنسان مكلف، فإذا جني أو أعتدى على غيره فإنه يحاكم كما يحاكم الإنسان وللقاضي أن يحكم عليه بالموت أو السجن أو غير ذلك، ففي شريعتهم إذا نطح ثور رجل أو امرأة وأفضى ذلك إلى موت النطيح وجب رجم الثور وحرم أكل لحمه، ولا تبعة على مالكه إذا لم يكن الثور معتاد النطيح، فإذا كان دلك من عادته وأنذر الناس صاحبه فلم يعبأ بإنذارهم وأهمل رقابته حتى تسبب في هلاك رجل أو امرأة، كان جزاء الثور الرجم ،وجزاء صاحبه الإعدام[2].

ثانيا :الحيوان في قوانين قدماء اليونان: كان لديهم محكمة خاصة لمحاكمة الحيوانات والجمادات المتسببة في هلاك الإنسان، وكان يطلق عليها اسم (البريتانيون)، وقد جاء على لسان حكيمهم أفلاطون أنه :إذا تسببت دابة جر أوحيوان آخر في قتل، فإنه ما لم يكن ذلك، القتل يسبب منافسة في الألعاب الرياضية العامة فإن قريب القتيل سيقوم بإجراءات القتل ضد القاتل، وستنظر القضية لمن يرى القريب تعينهم من الأمراء الريفيين وتقدم الدابة في حالة الإدانة ويرمي بها خلف الحدود ثم إن الحيوان يجازى على جناية صاحبه إذا كانت جريمة الإنسان ضد الدين أو الدولة حيث يحكم عليه وعلى أسرته وحيواناته بالحرق أو المصادرة.

[1]- كتاب بدء الخلق، البخاري، صحيح البخاري بشرحه فتح الباري، الحديث ر/(2321)،ج 06، ص 359.

[2]- المسؤولية والجزاء، علي عبد الواحد وافيي القاهرة دار نهضة مصر، ط/05، 1987، ص 14.

ثالثا :الحيوان في قوانين قدماء الرومان: تضمنت قوانينهم مادة تقتضي بعقوبة الإعدام على الثور وصاحبه ،إذا نقل الثور أثناء الحرث الحد بين الحقل المحروث والحقل المجاور له.

رابعا :الحيوان في قوانين قدماء الفرس: تنص قوانينهم على أن الكلب المصاب بالكَلَب إذا عض خروفا فقتله أو إنسانا فجرحه تقطع أذنه، اليمنى، فإذا تكرر ذلك منه قطعت أذنه اليسرى، وفي المرة الثالثة تقطع رجله اليمنى، وفي المرة الرابعة تقطع رجله اليسرى، وفي المرة الخامسة يستأصل ذنبه.[1]

خامسا :الحيوان عند الأمم الأوربية في العصور الوسطى: كانت فرنسا أول أمة أروبية مسيحية أخذت في القرن الثالث عشر بمبدأ مسؤولية الحيوان، ومعاقبته بجرمه أمام محاكم منظمة بنفس الطرق القانونية التي يحاكم فيها الإنسان وظل العمل به قائما عند بعض الشعوب الأوربية حتى القرن التاسع عشر، وكانت محاكمة الحيوان عند هؤلاء لاتقل في إجراءاتها عن محاكمة الإنسان، حتى لقد كان الحكم على الحيوان أحيانا يكون بالحبس الاحتياطي، وفي حالة إدانته يحكم عليه بالإعدام وأحيانا كان يحكم عليه بالرجم، أو يقطع رأسه أو يحرق وغير ذلك. [2]

من هذه النصوص يتبين لنا مدى التخلف القانوني والفكري في نظرة تلك الأمم للحيوان، فهو عندهم على قدم المساواة مع الإنسان في الجنايات وفي تحمل المسؤولية، ولا تدري كيف سمحت عقولهم بمحاسبة الحيوان وهو لا يملك عقل، فله دار الإسلام ما أنصفه وما أعدله، وما أعقل أحكامه وما أبلغ إنسانيته، فانظر حديث النبي عليه الصلاة والسلام في قوله: "لو غفر لكم ما تأتون إلى البهائم لغفر لكم كثيرا "، أي لو غفر للإنسان ما يقوم به في حق البهائم من الضر ب والحمل عليها ما لا تطيق، لغفر له كثيرا.[3]

فقد جعلت الشريعة الإحسان إلى الدواب من طرق مغفرة الله للبشر، فأين نحن من هذه الشريعة من الحضارات الأخرى ؟ وأين نحن من جمعيات المحافظة على الحيوان اليوم، التي ما فطنت لهذا الرفق إلا حديثا، بل إن الشريعة

[1]– القوانين أفلاطون، ترجمة و تح/ مُحَمَّد حسن ظاظا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط 01، ص 433.

[2]– المسؤولية والجزاء علي وافي، ص21/19.

[3]– كتاب التوبة باب فيما يحتقر من الذنوب،ج:1، رقم الحديث/ 17468، رواه الهيثمي، في مجمع الزوائد وقال إسناده حسن، ص 25.

قد ذهبت إلى أبعد من ذلك وأثبتت للحيوان حقا كالحق الشخصي للإنسان منعدم جواز شتم الدابة ،فعندما سمع النبي عليه الصلاة والسلام امرأة تلعن ناقتها قال :"خذوا ما عليها ودعوها فإنها ملعونة ".[1]

وقال الإمام أحمد في من شتم دابته: قال الصالحون: لا تقبل شهادته.[2]

[1]– كتاب البر والصلة باب النهي عن لعن الدواب وغيرها، مسلم ،صحيح مسلم بشرح النووي، ر/الحديث/6547،ج/16، ص 363.

[2]– الفروع، ابن مفلح،ج 5، ص 610.

الفصل الثاني

1. تعريف سورة النمل.
2. الحيوانات المذكورة في سورة النمل
3. التشكيل البلاغي للغة الحيوان في سورة النمل.

المبحث الأول :تعريف سورة النمل:

سورة النمل

أ- أسماؤها:

أشهرأسمائها سورة النمل،وتسمى أيضا سورة سليمان، وذكرأبو بكربن العربي انها تسمى(سورة الهدهد)، ووجه الأسماء الثلاثة:أن لفظ النمل،ولفظ الهدهد لم يذكرا في سورة من سور القرآن غيرها،وأمّا تسميتها بسورة سليمان فلأنّ ما ذكر فيها من ملك سليمان مفصّلا لم يذكر مثله في غيرها

سميت سورة النمل لإيراد قصة وادي النمل فيها، ونصيحة نملة منها بقية النمل بدخول جحورهن، حتى لا يتعرضن للدهس من قبل جند سليمان عليه السلام دون قصد، ففهم سليمان الذي علمه الله منطق الطير والدواب كلامها، وتبسم ضاحكا من قولها، ودعا ربه أن يلهمه شكره على ما أنعم به عليه.[1]

ب- هل السورة مكيّة أم مدنيّة ؟وما عدد آياتها ؟.

هذه السورة مكيّة بالاتفاق،وعدد آياتها ثلاث وتسعون آية، وقيل:أربع وتسعون ،و قيل خمس وتسعون آية.

ج- محور السورة:

سورة النمل من السور المكية التي تهتم بنواحي العقيدة ،وأصول الايمان من توحيد الله – عز وجل- و الاعتقاد بكتبه ورسله،و الايمان باليوم الآخر،وما فيه من ثواب و عقاب و الايمان بأن الحول والقوة كلها لله.وأن لا حول ولاقوة إلا با لله .وهي إحدى ثلاث سور نزلت متتالية ،وهي (الشعراء، النمل، القصص).

ويكاد يكون منهجا واحدا في سلوك مسلك العظمة و الاعتبار ممن سبق من الامم فنجد حلقة من قصّة سيدنا موسى عليه السلام تأتي في مقدمة السورة ورؤيته للنار ،ونداء لله تعالى له، وتكليفه بالرسالة إلى فرعون وقومه، و كيف كان جزاؤهم عندما كذبوا واعرضوا عن منهج الله تعالى.[2]

[1]- التفسيرالمنير، مصطفى الزحيلي، دار الفكر المعاصر،بيروت، دمشق، ج/19، ط/ 2، 1418هـ، ص252 .

[2]-التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، إعداد نخب من علماء التفسير وعلوم القرآن باشراف أ/د مصطفى مسلم جامعة الشارقة، ط /01 1431هـ/ 2010م، المجلد الخامس الانبياء– العنكبوت، ص 417 .

ثم نجد قصّة سيدنا داود و سليمان عليهما السلام وما اتاهما الله من النعم، وهي نعمة العلم و الملك والنبوة وتسخير الجن والطير لسليمان عليه السلام وقصّته مع ملكة سبأ وكيف دعاهم إلى عبادة الله الواحد القهار، ثم تأتي قصّة قوم لوط وكيف أن الله عزوجل أهلكهم، وفي ذكر هذه القصص تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم و تنشيطا له، وتعريفا بعلو منصبه.

ثم تختم بالحديث عن توحيد الله عزوجل وضرب المثل لتثبيت المعاني في أذهانهم فقال سبحانه و تعالى: ﴿قُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَىٰٓۗ ءَآللَّهُ خَيۡرٌ أَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴿٥٩﴾﴾ سورة النمل الاية59.

ثم يختم السورة بايقاع يناسب جوهرها و موضوعها﴿ إِنَّمَآ أُمِرۡتُ أَنۡ أَعۡبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ ٱلۡبَلۡدَةِ ٱلَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُۥ كُلُّ شَيۡءٖۖ وَأُمِرۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴿٩١﴾ وَأَنۡ أَتۡلُوَاْ ٱلۡقُرۡءَانَۖ فَمَنِ ٱهۡتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهۡتَدِي لِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن ضَلَّ فَقُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُنذِرِينَ ﴿٩٢﴾ وَقُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ فَتَعۡرِفُونَهَاۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ﴿٩٣﴾ ﴾ سورة النمل،الآية 93/91.

المناسبة بين اسم السورة ومحورها:

سميت هذه السورة بسورة النمل نظرا لورود قصّة النمل مع سيدنا سليمان عليه السلام فيها وذلك لأخذ العظمة والاعتبار من قصص السابقين ،وكيف أنّ لله أعطاه ما لم يعط أحدا من العالمين.[1] حينما قال : ﴿ قَالَ رَبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَهَبۡ لِي مُلۡكٗا لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٖ مِّنۢ بَعۡدِيٓۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡوَهَّابُ ﴿٣٥﴾ ﴾ سورة ص الاية35.

[1]- المصدر السابق، ص417/418 /419.

المناسبة بين افتتاحية السورة وخاتمتها:

ابتدأت هذه السورة الكريمة بذكر القرآن الكريم ،وهو المعجزة الخالدة، تحداهم لله – عزوجل– أن يأتو بمثله – وهم أرباب الفصاحة و البيان – فعجزوا، وهذا خير دليل على صدق النبي صلى لله عليه وسلم ،وختمت هذه السورة المباركة بذكر القرآن الكريم حيث أمره لله تعالى أن يتلو القرآن ففيه الهدى و النجاة لمن أراد النجاة في الآخرة أما من يضل عن الطريق فلا يملك من أمرهم إلا أن يقول: ما أنا إلا نذير مبين.[1]

المناسبة بين افتتاحية السورة وخاتمة ما قبلها :

لما ختم لله سبحانه وتعالى سورة الشعراء بتحقيق أمر القرآن ،وأنه من عند الله ،ونفي الشك عنه وتزييف ما كانوا يتكلفونه من تفريق القول بنسبته إلى السحر ،والافتراء والشعر وكل ذلك ناشئ عن أحوال الشياطين، ابتدأسبحانه وتعالى هذه بالإشارة إلى أنه من الكلام القديم المطهرعن وصمة تلحقه بشئ من ذلك تلام بوصفه بأنه منظوم مجموع لفظا ومعنى، لا فهم فيه ولا خلل، ولا زلل، فهو جامع لاصول الدين، ناشر لفروعه.

المناسبة بين مضمون هذه السورة و مضمون ما قبلها:

تعتبر سورة النمل كتتمة لسورة الشعراء حيث زاد سبحانه وتعالى فيها ذكر داود وسليمان، وبسط فيها قصّة لوط عليه السلام أبسط مما هي قبل، وقد وقع فيها ﴿ إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِۦٓ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا سَـَٔاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ ءَاتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٧﴾ ﴾ سورة النمل الاية 7.

وذلك كتفصيل لقوله تعالى: ﴿ فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِى رَبِّى حُكْمًا وَجَعَلَنِى مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢١﴾ ﴾ الشعراء الآية21.

وقد أشتملت كل من السورتين على ذكر القرآن، وكونه من لله تعالى، وعلى تسليته صلى لله عليه وسلم إلى غير ذلك.

[1]– المصدر السابق ص 417-418.

مناسبة السورة لما بعدها:

لما ختم الله – تبارك وتعالى–سورة النمل بالوعد المؤكد بأن يظهر آياته فتعرف، وأنه ليس بغافل عن شئ تهديدا للظالم ، وتثبيتا للعالم، وكان من أول ما جاء في سورة النمل من الاساليب المعجزة من خفايا علوم أهل الكتاب فلا يقدرون على ردّه، ومن الثاني ما صنع بفرعون وآله.[1] فقال في سورة القصص: ﴿ طسٓمٓ ۝١ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ۝٢ نَتۡلُواْ عَلَيۡكَ مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرۡعَوۡنَ بِٱلۡحَقِّ لِقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ۝٣ ﴾ القصص الآية 1- 3. مشتملات السورة:

هذه السورة المكية تتفق مع أغراض السور المكية في بيان أصول العقيدة: وهي التوحيد، والنبوة، والبعث، وإثبات كون القرآن الكريم منزلا من عند الله العزيز الحكيم، وإسهاما في توضيح تلك الأغراض أبانت السورة معجزة النبي مُحَمَّد صلّى الله عليه وسلم الخالدة، وهي تنزيل القرآن المجيد هدى ورحمة وبشرى للمؤمنين، ثم سردت وقائع مثيرة من قصص الأنبياء: موسى، وداود، وسليمان، وصالح، ولوط، عليهم السلام، تبين مدى ما تعرّض له موسى وصالح ولوط من أذى أقوامهم، وتكذيبهم برسالاتهم، وإنزال العقاب الأليم بهم، وتنبّه إلى ما أنعم الله به على داود وسليمان من النعم العظمى، بهبة النبوة والملك والسلطان، وتسخير الجن والإنس والطير، وإذعان الملكة بلقيس لدعوة سليمان.

وفي هذا حكمة بالغة لأصحاب السلطة هي اتخاذ السلطان والنفوذ سبيلا للدعوة إلى الله ﷻ.

و تلا ذلك بيان الأدلة والبراهين على وجود الله وتوحيده من خلق الكون: سمائه وأرضه، بره وبحره، وإلهام الإنسان الإفادة من كنوز الأرض، والهداية في ظلمات البر والبحر، وإمداده بالأرزاق الوفيرة، ومفاجأته بأهوال يوم القيامة ومغيبات الأحداث، وسعة علم الله، وتعاقب الليل والنهار.[2]

[1]– التفسير الموضوعي لسورة القرآن الكريم اعداد نخب من علماء التفسيروعلوم القرآن، بإشراف أ/ د مصطفى مسلم، جامعة الشارقة، ط/1، 1431هـ /2010م، المجلد /5، الانبياء/ العنكبوت، ص418/ 419.

[2]– التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج ، دوهبة بن مصطفى الزحيلي، دار الفكر المعاصرة دمشق، 1418هـ، ط/02، ص252.

وأنكرت السورة بعدئذ على المشركين تكذيبهم بالبعث والحشر والنشور، وألزمت بني إسرائيل بالاحتكام إلى القرآن في خلافاتهم وخصوماتهم، وتحدثت عن أشراط الساعة، كخروج دابة الأرض، وحشر فوج من كل أمة، وتسيير الجبال، ثم ذكّرت بالنفخ في الصور لجمع الناس ومجيئهم داخرين صاغرين لله تعالى.

وختمت السورة بتصنيف الناس إلى سعداء أبرار، وأشقياء فجار، وجزاء كلّ بما يستحق خيرا أو شرا، وإعلام المشركين بوجوب عبادة الله وحده، والتخلي عن عبادة الأصنام والأوثان، والالتزام بمنهج القرآن ودستوره في الحياة لأنه نور وهداية، ومن اهتدى فلنفسه ومن ضلّ فعليها، وتعريفهم بآيات الله العظمى في وقت لا ينفعهم فيه شيء غير الإيمان بالله وحده، وتعرضهم للجزاء الحتمي عن جميع أعمالهم.

و الخلاصة: أن ما ذكر في هذه السورة يدعو إلى المبادرة إلى الإيمان بالله تعالى ربا وإلها لا شريك له، والتصديق بالبعث طريقا لإنصاف الخلائق، واتخاذ القرآن نبراسا ودستورا للحياة الإنسانية.[1]

بيان إعجاز القرآن الكريم :

﴿طسٓ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡقُرۡءَانِ وَكِتَابٖ مُّبِينٍ ۝١ هُدٗى وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ۝٢﴾ سورة النمل، الآية 2/1 .

ابتدأت سورة النمل بالأحرف المقطعة للتنبيه على المادة الأولية التي تتألف منها السورة الكريمة و القرآن كله، وهذه الاحرف معروفة عند العرب، ومع ذلك عجزوا أن يؤلفوا كتاب مثله.

وقد اختلف المفسرون في الاحرف المقطعة التي في أوائل السور :

فمنهم من قال :هي مما أستأثر لله بعلمه ،فردّوا علمها إلى لله ولم يفسروها ،وقالوا:هي سرلله في القرآن الكريم ، ونسب هذا القول إلى أبي بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، و إبن مسعود – رضي لله عنهم – والشعبي والثوري والربيع بن خثيم.

ومنهم من فسرها واختلفوا في ذلك على أقوال عديدة : فعن ابن عباس – راضي الله عنه– قال: اسم الله الاعظم إلّا أنا لا نعرف تأليفه منها، وقيل :هي إشارة إلى حروف الهجاء أعلم الله بها العرب، وقيل هي حروف دالة على أسماء أخذت منها وحذفت بقيتها.

[1]– المرجع السابق، ص253،254.

قال إبن جرير بعد أن ذكر هذه الآراء: ولا منافاة بين الواحد منها وبين الآخر، وإن الجمع ممكن فهي أسماء للسور، ومن أسماء الله تعالى يفتتح بها السور، فكل حرف منها دال على اسم من اسمائه وصفة من صفاته، كما افتتح سور كثيرة بتحميده وتسبيحه وتعظيمه.[1]

قال الحافظ ابن كثير: "مجموع هذه الحروف التي في أوائل السور يحذف المكرر منها أربعة عشر حرفا مجموعة في قولك: (نص حكيم قاطع له سر) وهي نصف الحروف عددا، والمذكورة منها أشرف من المتروك."[2]

أمّاعن الحكمة التي اقتضت إيراد هذه الحروف في أوائل السور:

قالوا: "إنّما ذكرت هذه الأحرف التي ذكرت فيها بيانا لاعجاز القرآن، وأنّ الخلق عاجزون عن معارضته يمثل هذامع أنّه مركب من الحروف المقطعة التي يتخاطبون بها".

قال الزمخشري: "ولم ترد كلها مجموعة في أولّ القرآن، وإنّماكررت ليكون أبلغ في التحدي، كما كررت قصص كثيرة، وكرر التحدي فيها بالصريح في أماكن وجاء منها على حرف واحد(ص، ن، ق) ومنها ما جاء في حرفين ومنها ما جاء في ثلاثة أحرف مثل (الم)، (الر)ومنهاما جاء على أربعة أحرف مثل(المص)، ومنها ما جاء على خمسة أحرف مثل (كهيعص)، (حم عسق)."

قال ابن كثير :"ولهذاكل سورة افتتحت بالحروف فلا بد أن يذكر فيها الانتصار للقرآن وبيان إعجازه وعظمته"، وهذا معلوم بالاستقراء، وهو الوقع في تسع وعشرين سورة.

يقول سبحانه: ﴿ الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ۝٢ ﴾ البقرة الاية2/1.

﴿ الٓمٓ ۝١ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ۝٢ ﴾ ال عمران الآية2،1.

[1]- التفسير الوسيط للزحيلي،د وهبة بن مصطفى الزحيلي ،دار الفكر دمشق،ط/01، 1422هـ، ج 02، ص 183، 184.

[2]– تفسير القرآن العظيم لابن كثير طباعة مكتبة دار الفيحاء،دمشق ومكتبة دار السلام الرياضي، 1994م، ج/1، ص708 .

﴿طسٓ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡقُرۡءَانِ وَكِتَابٖ مُّبِينٍ ۝١ هُدٗى وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ۝٢﴾ النمل ،1ـ2.

وغير ذلك من الآيات الدالة على صحة ما ذهب إليه هؤلاء.[1]

[1]- المرجع السابق ص54،55.

المبحث الثاني:الحيوانات المذكورة في سورة النمل:

إنَ القاريئ لسورة النمل يلمس من خلال السورة أن هناك حيوانات مذكورة في هذه السورة، والتي تمثلت ما نسب إلى اسم السورة وهو النمل، إضافة إلى ذلك الطائر الذي كان المعجزة من خلال القصة الواردة في السورة، والمتمثل في طائر الهدهد.

أولا: النمل.

النملة حشرة تعيش في جماعات منظمة تعرف بالمستعمرات وتحتوي مستعمرة النمل على 12 فردًا أوملايينالأفراد، وبكل مستعمرة ملكة واحدة أو عدَةملكات وعمل الملكة الرئيس وضع البيض ومعظم أعضاء مستعمرة النمل {عاملات} وجميع العاملات إناث مثل الملكة وتقوم العاملات ببناء العش والبحث عن الغذاء ورعاية الصغار ومحاربة الاعداء وتوجد الذكور في الأعشاش في أوقات معينة، ويكون عملها هو تلقيح الملكات مكتملات النمو وتموت بعد دلك مباشرة.

وللنمل عدَة طرق للحياة، فالنمل المحارب مثلا يعيش على صيد حشرات أخرى وبعض أنواع النمل المحارب تسير في حشود هائلة فتأكل معظم الحشرات التي تصادفها، أما النمل المستعبد فيغير على أعشاش نمل آخر يسرق الصغار ثم يربيها عبيدا، وهناك النمل الحاصد الذي يجمع البذور ويخزنها في أعشاشه والنمل الحلات الذي يربي حشرات معينة لكي تمدَه بسائل حلو المذاق عند حلبها .

ويعيش النمل في مستعمرات يصنعها في الأرض أو في الأخشاب الجافة، وهو يعيش في كل مكان على الأرض عدا المناطق شديدة البرودة من العالم، ويعيش بعض أنواع النمل في أنفاق تحت الأرض ويعيش بعضه الأخر في تلال ترابية وتسكن بعض أنواع النمل بداخل الأشجار أوفي أجزاء بعض النباتات المجوفة، كما يبني بعض النمل أعشاشه من أوراق الأشجار لكن بعض أنواع النمل المحارب ليس لها بيوت دائمة.[1]

وتختلف حجم المستعمرة وطريقة بنائها تبعا للنوع القاطن بها ،كما أنَ هناك أنواعاً منه تقوم بجلب المواد الغذائية والحبوب وتعمل على خزنها بعد أن تقوم بتفتيتها لأجزاء مناسبة ولكي لا تنبت هذه البذور إذا ما تعرضت للرطوبة التي تشجعها على ذلك بل الأغرب أنَ الرطوبة إذا زادت قام النمل بإخراجها وتعرضها للهواء والشمس حتى تجف

[1]– ينظر موسوعة الحيوأنات، إعدادقسم التأليف، دار المعرفة، إشراف وتحرير نبيل دادوة، ص78.

ثمَ يقوم بخزنها ثانية.والنمل يتبعرتبة غشائية الأجنحة:Order Hymenoptera، وفصيلة النمل: Family Formicisae، وهو من الحشرات الاجتماعية الشائعة الانتشار، حيث تزيد الأنواع المعروفة منه 600 نوع ويضمها 250 جنسا وضحا، ويوجد القدر الأعظم من هذه الأنواع في المنطقة الاستوائية، وقد اتضح للباحث ويلسون أن النملة يمثل1من المجموع الكلي للحشرات، ولا يقتصر إنشار النمل على المنطقة الإستوائية بل يمتد شمالا حتى حدود المنطقة الاستوائية بل يمتد شمالا حتى المنطقة القطبية، كما يوجد في التخوم القارية الجنوبية، وتعيش معظم أنواع النمل مفترسة للمفصليات، كما أنها تحصل على الأغذية السكرية النباتية مثل رحيق الأزهار والعصارات الأخرى .

ويوجد من النمل أكثرمن 10.000 نوع معظمها ذات ألوان داكنة، مثل الأسود أو البني أو بلون الصدأ، ولكن بعضه ذو ألوان زاهية مثل الأصفر، والأخضر، والأزرق، والأرجواني ويتفأوت النمل في حجمه وإن كان معظمه صغير الحجم فأكبر النمل حجما لا يزيد طوله 2.5 سم، وأصغره حوالي 0.1سم.

وبالرغم من صغر حجم النمل فهو قوي لدرجة عجيبة، فمعظم النمل يستطيع نقل أجسام أثقل من وزنه عشر مرات، بل بعضه يمكنه رفع أجسام تفوق جسمه خمسين مرة. ويتكون جسم النملة من ثلاثة أجزاء، رئيسية الرأس ،الجذع والبطن وتشبه الأعضاء الداخلية للنمل، وكذلك أعضاء الحس نظائرها في الكثير من الحشرات الأخرى، وللنمل ـ كما للحشرات الأخرى . غلاف صلب يسمى الهيكل الخارجي يعمل على حماية الأعضاء الداخلية وتتصل عضلات الجسم بالجدران الداخلية للهيكل الخارجي، وللنملة ثلاث أزواج من الأرجل ،ولكل رجل بها متصلة تسع عقل بمفاصل حركية وللقدم في كل رجل مخلبات معفوفات ،وعندما تمشي النملة تنعرز المخالب في السطح ،فتتمكن بذلك النملة من صعود الأشجار والمشي على الاسطح السفلية للفروع و الأوراق ، ويستخدم كثير من النمل مخالب أرجله الأمامية في حفر التربة أو شق أنفاق تحت الأرض.[1]

وللذكور والملكات اليافعات في معظم أنواع النمل زوجان من الأجنحة التي تستعملها في وقت التزأوج فقط.أماالعاملات فليست لها أجنحة .

تتكون منطقة البطن من جزئين هما :الخَضرُ والجزء المعدي. ويتكون الخضر من واحد أو اثنتين من العقل المتحركة سبحية الشكل التي تربط الجذع بالجزء المعدي وهو الجزء الأكبر من منطقة البطن وتحمل بعض النمل إذاة

[1]– الموسوعة الكونية الكبرى، آيات الله في ممالك الطير والنحل والنمل والحشرات د/ ماهر الصوفي، المكتبة العصرية، بيروت، ج/12، ص 190.

لسع سامة تقع من طرف الجزء المعدي ولبعضها الآخر غدَة سامة تقع بداخل ذلك الجزء وتفتح في نهايته وتقذف تلك الأنواع من النمل السمَ نحو أي عدُوَ.[1]

ويفتقر النمل إلى الأذن، ولكنه يستطيع السمع بواسطة خلايا حسية تسمى الأعضاء الحسية الوترية، توجد على قرون الاستشعار والأرجل والجذع والرأس، وهذه الأعضاء تستجيب لذبذبات الصوت التي تمرخلال الأرض.

يبني النمل عدة نماذج من الأعشاش، ومعظم أعشاش النمل بها عدد من الغرف تخصص إحداها للملكة مع بيضها وتستخدم عدة غرف أخرى حضانات، حيث تنقل العاملات إليها الصغار النامية، كما تستخدم غرفا أخرى كأماكن لتجتمع العاملات أو لراحتها وتوجد في أعشاش بعض الأنواع غرف لتخزين الطعام أو تجميع الفطر، وكلَما زاد عدد أفراد المستعمرة تقوم العاملات بتوسع العش وإضافة المزيد من الغرف والمسرات إليه، ويعيش النمل الموجود في المناطق ذات الشتاء البارد في أكثر أجزاء العش عمقا خلال الشتاء ثم يصعد إلى الخارج في الربيع، وقد تغادر الملكة العش في بعض أنواع النمل الصياد من وقت لأخر، لتصطاد طرائد من الحشرات تتغذى بها، ولكن في غالبية أنواع النمل لا تغادر الملكة العش.

والنمل يمر بأربع مراحل من التكوين هي: البيضة، اليرقة والخادرة ثم النملة الكاملة، وبيض النمل دقيق جدا ويفقس في أيام قلائل يرقات دودية بيضاء لا يستطيع معظمها الحركة، تغدي الملكة اليرقات من لعابها وبعض بيضها، وتستمر مرحلة اليرقة بضعة أسابيع، ثم تتحول اليرقات بعد اكتمال نموها إلى خادرات، ثم تغزل يرقات بعض الأنواع شرائق حريرية ناعمة تكسو بها جسمها قبل تحولها لخادرات، تغطى خادرات الأنواع الأخرى بجلدها الرقيق الشفاف فقط .[2]

وتظل الخادرات دون تغذية بل تتحول ببطء إلى مرحلة النمل الكامل النمو ويستمر طور الخادرة غالبا ما يقرب من أسبوعين أو ثلاثة تخرج بعدها العاملات مكتملات النمو، تغادر العش لجلب الطعام للملكة ولليرقات، كما تتولى رعاية الحضنة – أي البيض واليرقات والخادرات – بينما تواصل الملكة وضع البيض، وتوضع العديد من

[1]- مجلة المخلوقات العجيبة، لهارون يحي، ص13/12.

[2]- الكتاب السابق،ص12.

الملكات آلاف البيض خلال فترة حياتها .وينشأ عن الغالبية العظمى من البيض العاملات، بعد تأسيس المستعمرة، تبدأ الملكة في وضع البيض الذي ينتج عنه ذكور أو ملكات حديثة.[1]

ويملك نصف أنواع النمل تقريبا أعضاء اللسع حيث يمتلك النمل الناري والنمل الثور أعضاء لسع تثقب الجلد وتحقن سما مؤلما، وهناك أعضاء لسع معينة يمكنها اختراق أي جلد سميك أو قوي، وعضو اللسع سلاح فعال جدا في الدفاع ضد الحشرات الأخرى، حيث إنها تطلق سما يحتوي على غازات طاردة للحشرات وهذا السم كثيف ولزج، ولذا يمكن أن يلتصق بقرني الاستشعار أو أرجل أو فكوك أية حشرة أخرى ويستطيع بعض النمل الذي لا يملك أعضاء لسع أن ينقل السم من طرف الجزء المعدي.[2]

أما عن أفراد النمل فتتمثل في الملكات: Queens، والعاملات:Workors. والذكور:Male، أما الملكات فهي إناث لها آلية طيران مكتملة النمو عند ظهور الطور النافع، لكن تتساقط الأجنحة وتتحلل أنسجة الطيران بعد طيران الزفاف، وإذا كانت طرائف النمل لا يوجد بكل منها إلا ملكة واحدة فإن مستعمرات، النمل يوجد بها أكثر من ملكة، وهذا خاص ببعض الأنواع، ولعل الملكة قد عُدتْ من الطير، كما في آية النمل لأنها تشترك مع الطير في فترة من حياتها، وإن كانت تختلف عنه من النواحي التصنيفية, هذا من رأي, ولما كان للملكة أمر القية والتوجيه، فلدا قامت بالنصح والتوجيه .

أما فيما يخص العاملات، فهي تشكل غالبية سكان المستعمرة، والعاملة أصغر من الملكة حجما وصدرها مختزل، وليس لها آلية الطيران، والعاملات تتفأوت أحجامها، وقد تتخصص أنواع منها للدفاع وتسمى الجنود.

أمّا عن الذكور فهي مجنحة ووظيفتها الرئيسية التلقيح.

تعد النملة حشرة اجتماعية راقية، موجودة في كل مكان وفي كل وقت، بل إن أنواع النمل تزيد على تسعة آلاف نوع، وبعض النمل يحيا حياة مستقرّة في مساكن محكمة، وبعض النمل يحيا حياة الترحال كالبدو تماما، وبعضه يكسب رزقه بجده وسعيه، وبعضه يكسب رزقه بالعدو والسيطرة، والنمل حشرة ذات طابع اجتماعي، فإذا عزلت عن أخواتها ماتت، ولو تهيأ لها غذاء جيد ومكان جيد، وظروف جيدة، فهي كالانسان إذاعزلته في مكان بعيد عن الضوء والصوت، والساعة، والليل والنهار عشرين يوما فقد توازنه والنملة في جهازها الهضمي جهاز

[1]- موسوعة الحيوأنات، إعداد قسم التأليف، دار المعرفة إشراف وتحرير نبيل دادوة، ص 82.

[2]- الكتاب السابق، ص13/12.

ضخم تطعم به غيرها فلقد رصد العلماء طرق معيشة النمل، وأدهشتهم عملهم الجاد على ذلك، حتى يجتمع على ذلك الشيء جماعات منها، يحملونه ويجرونه بجهد وعناء، متعأونين في نقله، علما بأن للنمل قوى عضلية بالنسبة إلى حجمه.[1]

قوي بقوة أعظم المصارعين الرياضيين حيث تستطيع النملة الواحدة أن تحمل بين فكيها حملا أثقل من وزنها بخمسين مرة تقريبا من غير عناء.

وكما وجد العلماء أنّ النمل ينشر عند موته رأئحة خاصة تنبه بقية الأفراد على ضرورة الاسراع بدفنه قبل إنجداب الحشرات الغريبة إليه، وعندما قام أحد العلماء بوضع نقطة من هذه المادة على جسم نملة حية سارع باقي النمل إليها ودفنها حية .

للنمل مخ صغير، وخلايا عصبية، وأعصاب لتقدير المعلومات وخرائط كي تهتدي بها إلى مواقع الغذاء وإلى مساكنها، وللنملة رأس ،ووسط وذنب أسطواني، ولها ست أرجل تقدر بها على الجري السريع، ولبعضها أجنحة للوثوب، ولها خمس أعين عينان مركبتان على جانبي الرأس مكونتان من أعين بسيطة تعد بالمئات، وهي أعين ملتئة الوضع والتركيب، حيث ترى وكأن لها عينا واحدة، والثلاث عيون الباقية موضوعة على هيئة مثلث، يعلو العينين المركبتين، وهي أعين بسيطة لا تركيب فيها، غير أن عيون الذكرأكبر من عيون الأنثى ومتقارب بعضها عن بعض بسبب قوة المهام المنوطة به ، ولكل نملة قرنان طويلان كالشعرتين، بهما تحس الأشياء، ويقومان مقام اليدين والرجلين والأصابع في الحمل، ويسميان الحاستين .وللنمل جهاز هضم مدهش، فيه فم ومريء، ومعدة وأمعاء، وجهاز مص وضخ.

إن العلم اليوم بَيّن لنا بعد دراسات مطولة ومضنية لعالم النمل الشيء الكثير عن هذا العالم الذي كان مخفيا ولا نعلم شيئا، لقد ساعدت أدوات البحث والرصد الالكترونية والميكانيكية في الدخول إلى هذا العالم وكشف أسراره، فقد كشف العلم أسرار هذه المملكة العظيمة للنمل.[2]

فالنمل آية من آيات الله سبحانه في هذا الملك العظيم، والذي ستقوم الساعة ولا نعرف له بداية ولا نهاية، فقد يجلس أحدنا على الأرض فيرى رتلا من النمل يسير وراء بعضه، وقد يرى نملة هائمة على وجهها ربما أضاعت طريقها، ولكنها بكل جهد ونشاط تبحث عنه، وقد لا يعبر الناظر إلى هذا أهمية فقد ألف هذا كثيرا،

[1]- الموسوعة الكونية الكبرى آيات الله في ممالك الطير والنحل والنمل والحشرات، د/ ماهر الصوفي ج/12، ص 201.

[2]- المصدر السابق، ص198.

وقد يقرأ أحدنا القرآن الكريم ويقرأ سورة النمل، ويمر على الآيات الكريمة (19/17) من السورة ولا ينتبه إلى مفردات الكلمات في الآيات أو ربما لا يدرك المعنى الحقيقي وراء هذه الآيات قال تعالى :﴿وَحُشِرَ لِسُلَيۡمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ وَٱلطَّيۡرِ فَهُمۡ يُوزَعُونَ ١٧ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوۡاْ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمۡلِ قَالَتۡ نَمۡلَةٞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمۡلُ ٱدۡخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمۡ لَا يَحۡطِمَنَّكُمۡ سُلَيۡمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ١٨ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكٗا مِّن قَوۡلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوۡزِعۡنِيٓ أَنۡ أَشۡكُرَ نِعۡمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنۡ أَعۡمَلَ صَٰلِحٗا تَرۡضَىٰهُ وَأَدۡخِلۡنِي بِرَحۡمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ١٩﴾ الآيـــــة، 19/17 سورة النمل.

في الآيات، ست مسائل، والتي من بينها: قوله تعالى: (حَتَّى إِذا أَتَوْا عَلى وادِ النَّمْلِ) قال قتادة: ذكر لنا أنه واد بأرض الشام. وقال كعب: هو بالطائف، (قالَتْ نَمْلَةٌ يا أَيُّهَا النَّمْلُ). قال الشعبي: كان للنملة جناحان فصارت من الطير، فلذلك علم منطقها ولولا ذلك لما علمه. وقد مضى هذا ويأتي. وقرا سليمان التيمي بمكة:" نملة" و "النمل" بفتح النون وضم الميم. وعنه أيضا ضمهما جميعا. وسميت النملة نملة لتنملها وهو كثرة حركتها وقلة قرارها. قال كعب: مر سليمان عليه السلام بوادي السدير من أودية الطائف، فأتى على وادي النمل، فقامت نملة تمشى وهي عرجاء تتكأوس مثل الذئب في العظم، فنادت:" يا أَيُّهَا النَّمْلُ" الآية. الزمخشري: سمع سليمان كلامها من ثلاثة أميال، وكانت تمشى وهي عرجاء تتكأوس، وقيل: كان اسمها طاخية. وقال السهيلي: ذكروا اسم النملة المكلمة لسليمان عليه السلام، وقالوا اسمها حرميا، ولا أدري كيف يتصور للنملة اسم علم والنمل لا يسمى بعضهم بعضا، ولا الآدميون يمكنهم تسمية واحدة منهم باسم علم، لأنه لا يتميز للآدميين بعضهم من بعض، ولا هم أيضا واقعون تحت ملكة بنى آدم كالخيل والكلاب ونحوها، فإن العلمية فيما كان كذلك موجودة عند العرب. فإن قلت: إن العلمية موجودة في الأجناس كثعالة و أسامهه وجعار وقثام في الضبع ونحو هذا كثير، فليس اسم النملة من هذا، لأنهم زعموا أنه اسم علم لنملة واحدة معينة من بين سائر النمل، وثعالة ونحوه لا يختص بواحد من الجنس، بل كل واحد رأيته من ذلك الجنس فهو ثعالة، وكذلك أسامة وابن أوى وابن عرس وما أشبه ذلك. [1]

[1]- تفسير الوسيط للزحيلي د/ وهبة بن مصطفى الزحيلي، دار الفكر دمشق ط/01 ج 02، ص 183.

فإن صح ما قالوه فله وجه، وهو أن تكون هذه النملة الناطقة قد سميت بهذا الاسم في التوراة أو في الزبور أو في بعض الصحف سماها الله تعالى بهذا الاسم، وعرفها به الأنبياء قبل سليمان أو بعضهم. وخصت بالتسمية لنطقها وإيمانها فهذا وجه.

ومعنى قولنا بإيمانها أنها قالت للنمل: (لا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ) فقولها:" وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ" التفاتة مؤمن. أي من عدل سليمان وفضله وفضل جنوده لا يحطمون نملة فما فوقها إلا بألا يشعروا. وقد قيل: إن تبسم سليمان سرور بهذه الكلمة منها، ولذلك أكد التبسم بقوله:" ضاحِكاً" إذ قد يكون التبسم من غير ضحك ولا رضا، ألا تراهم يقولون تبسم، تبسم الغضبان وتبسم تبسم المستهزئين. وتبسم الضحك إنما هو عن سرور، ولا يسر نبي بأمر دنيا، وإنما سر بما كان من أمر الآخرة والدين. وقولها:" وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ" إشارة إلى الدين والعدل والرأفة. ونظير قول النملة في جند سليمان" وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ" قول الله تعالى في جند مُحَمَّد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:" فَتُصِيبَكُمْ مِنْهُمْ مَعَرَّةٌ بِغَيْرِ عِلْمٍ «1»". التفاتا إلى أنهم لا يقصدون هدر مؤمن. إلا أن المثني على جند سليمان هي النملة بإذن الله تعالى، والمثني على جند مُحَمَّد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هو الله عز وجل بنفسه، لما لجنود مُحَمَّد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الفضل على جند غيره من الأنبياء، كما لمحمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فضل على جميع النبيين صلى الله عليهم وسلم أجمعين. وقرا شهر بن حوشب:" مسكنكم" بسكون السين على الافراد. وفي مصحف أبي" مساكنكن لا يحطمنكم". وقرا سليمان التيمي" مساكنكم لا يحطمنكن" ذكره النحاس، أي لا يكسرنكم بوطئهم عليكم وهم لا يعلمون بكم.قال المهدوي: وأفهم الله تعالى النملة هذا لتكون معجزة لسليمان.[1]

وقال وهب: أمرالله تعالى الريح ألا يتكلم أحد بشيء إلا طرحته في سمع سليمان، بسبب أن الشياطين أرادت كيده، وقد قيل: إن هذا الوادي كان ببلاد اليمن وأنها كانت نملة صغيرة مثل النمل المعتاد.[2]

فلنقف عند بعض معاني الآيتان والتي كانت كالآتي:

حشر: جمع والحشرالجمع .

يوزعون: يحبسون ويمنعون من المضي حتى يتلاحقوا ويجتمعوا .

يحطمنكم :الحطم التكسير.

[1]- تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي، تح احمد البردوني، وإبراهيم اطفيش ط2، 1384هـ/1964م، ج13، ص169.
[2]-الكتاب السابق، ص170.

أوزعني :ألهمني، بمعنى حثني وأوعني على كف نفسي عن التقصير في شكل نعمتك.

وادي النمل: اختلف في مكانه كما اختلفوا في هيئة النملة المتكملة واسمها .

قال الكلبي :كان هذا الواد ببلاد اليمن .

وقال قتادة : ذكر لنا أنه واد بأرض الشام.

قال كعب : هو واد من أودية الطائف يقال له السدير.[1]

كانت النملة عرجاء مثل الذئب في الحجم على رأي نوف الشامي، وشقيق سلمة.

وقال رائدة الأسلمي :كان نمل هذا الوادي على هيئة النعاج .

وقال الكلبي :"كانت صغيرة مثل النمل المعتاد ،ورجح القرطبي هذا الرأي ،واجتح له بأنها لو كانت كهيئة الذئاب أو النعاج لما حطمت بالوطاء وهذا الرأي هو الذي يستقيم معه السياق في السابق واللاحق ".

حتى :ابتدائية، وفيها معنى الغاية لما يفهمه السياق، فكأنه قيل: فلماااجتمعوا ونظموا وأمروا بالسير فساروا حتى إذا أتوا على وادي النمل

التبسم: الضحك من غير صوت .

الضحك :انبساط الوجه حتى تظهر الأسنان من السرور مع صوت خفي، فإذا كان فيه صوت يسمع من بعيد فهو القهقهة.[2]

أما عن معنى الآيات: فكان لسيدنا سليمان عليه السلام جنود من أصناف ثلاثة هي: الجن والأنس ،والطير

فهذا فضلا عن تسخير الريح قال تعالى: ﴿ فَسَخَّرۡنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجۡرِي بِأَمۡرِهِۦ رُخَآءً حَيۡثُ أَصَابَ ﴿٣٦﴾

﴾ سورة ص ،الآية 36.

[1]- القصة في القرآن الكريم، د/ مُحَمَّد سيد طنطاوي، دارنهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، ج 2، ط/ 1، ص 65/64.

[2]- معجم مفردات القرآن، الراغب الإصفهاني، ص594 .

والحاشر لكل من الأنواع الثلاثة أفراد منهم معدون لمثل ذلك الوزعة أو القادة، أي أن الله قد جمع لسليمان جيشه وعساكره من أماكنها المختلفة تعظيما لمقامه، وإرهابا لعدوه، فهم يأمرون بالكف عن السير حتى يجتمعوا فتنظم صفوفهم طبقا لنظم العسكرية ثم يأمرون بالسير، فسار سليمان وجنوده {حتى إذا أتوا على واد يكثر فيه النمل، قالت رائدة هذا النمل لفصيلتها: ادخلوا مساكنكم في جحوركم، حتى لا تتعرض في البقاء فوق الأرض فيهلككم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون بإهلاكهم إياكم فتبسم سليمان لما ألهمه الله إياه من حسن حاله وحال جنوده، وابتهاجا بما حضه الله به من سماع من قولها وإدراك مقصدها منه تعجبا من حذرها وتحذيرها جماعتها وإدراكها مصالحها، ودعا ربه قائلا :﴿فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٩﴾﴾ سورة النمل الآية 19.

مع أنه وأباه نبيان إلا أنه تواضع.[1]

فهذه الآيات لها معاني تشير في النفس عدة أسئلة هي:

أ- إذا كان سليمان يمتن بنعمة الله عليه في فهم منطق الطير ،فهل النملة من الطيور حتى يصدق هذا مع أن لها مواصفات خاصة تجعلها تختلف بها تصنيفا ووظيفيا عن الطيور ؟

ب . هل منطق الطير خاص بالألفاظ التي يعلمها الناس؟ أم أن الفهم يقع لما يفهم من غير كلام؟

وللإجابة عن السؤال الأول نقول :

- قال بعض المفسرين :"هذه المنة كانت في جميع الحيوان ،وذكر الطير لكثرة مداخله ،وقال الشعبي كان للنملة جناحان ،فصارت من الطير،وللذلك علم منطقها، ولولا دلك لما علم ".[2]

[1]- القصة القرآنية في القرآن الكريم، د/مُحَمَّد سيد طنطاوي، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع ط/ 1، يناير1997،ج 02، ص 65/64.

[2]- الموسوعة الكونية الكبرى آيات الله في ممالك الطير والنحل والنمل والحشرات، د/ماهر الصوفي المكتبة العصرية بيروت،ج/12، ص201.

وللإجابة عن السؤال الثاني نقول :

- قال أبو جعفر النحاس يقع المنطق لما يفهم بغير كلام.

ثانياً: الهدهد.

الهدهد حيوان آخر من الحيوانات المذكورة في سورة النمل ،وهو طائر منتن الريح والبدن،من جوهره وذاته ،فربّ شيئاَ يكون منتناً من نفسه ،من غير عرض بعرض له ةالتيوس والحيات ،وغير ذلك من أجناس الحيوان ،فأمّا الأغرب فيجعلون ذلك النتن شيئاً خامره لسبب تلك الجيفة التي كانت مدفونة في رأسه .

يزعمون أنّ الهدهد هو الذي كان يدل سليمان عليه السلام ،على مواضع الماء في قعور الأرضين ،إذا أراد استنباط شيء منها .

ويرون أنّ نجدة ونافع بن الأزرق قالا لابن عباس – رضي الله عنهما – :إنّك تقول إنّ الهدهد،إذا نقر الأرض ،عرف مسافة ما بينه وبين الماء .والهدهد لايبصر الفخّ دُوَينَ التراب، حتى إذا نقر التمرة إنضمّ عليه الفخّ .

قال لهما ابن عباس :"إذا جاء القدر عمي البصر، ومن أمثالهم: إذا جاء غطي العين، وإبن عباس إذا كان قال ذلك، فإنّما عنى هدهد سليمان عليه السلام بعينه ."[1]

[1]- كتاب الحيوان، لإبن عثمان عمرو بن بحر للجاحظ، تح/ عبد السلام مُحَمَّد هارون ط /2، 1384هـ 1965م، مج 1 الجزء2، ص538.

قال أبو الشيص في الهدهد:[1]

لا تأمننّ على سرّى وسرّكم ✯ ✯ ✯ غير وغيرك أو حلمي القراطيس.

أو طائر سوف أحليه وأنعته ✯ ✯ ✯ مازال صاحب تنفير وتأسيس.

سُودُ براثنه ميل ذوائبه ✯ ✯ ✯ صفر حمالقه في الحُسن مغموس .

قد كان همَّ سليمان ليذبحه ✯ ✯ ✯ لولا سعايته في ملك يلقيس.

[1]- الكتاب السابق، ص539.

المبحث الثا لث: التشكيل البلاغي للغة الحيوان في سورة النمل :

ليس الإنسان هوالكائن الحي الوحيد الذي وهبه الله تعالى القدرة على التفاهم ومنحه وسيلة، الاتصال ببني جنسه، وإنما يشركه في ذلك سائر الكائنات الحية من حيونات وحشرات وطيور، ومن المعلوم ان لكل نوع من الكائنات الحية لغة يتفاهم بها أفراده فيما بينهم ، وهذه اللغة ليس لها مفردات محددة ومعينة،ويتم التعبير عن هذه الأمور بطريقة الإشارات الصوتية أو الضوئية، أو حركات الجسم في أوضاع معينة، ولقد أثبت القرآن الكريم أن للطير لغة يتخاطب بها وكذلك جميع الحيوانات وقد اشار في اكثر من موضع إلى هذه الحقيقة. [1]

فقال : ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا طَٰٓئِرٖ يَطِيرُ بِجَنَاحَيۡهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمۡثَالُكُمۚ مَّا فَرَّطۡنَا فِي ٱلۡكِتَٰبِ مِن شَيۡءٖۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ يُحۡشَرُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾ "سورة الأنعام الأية38.

وقد يتساءل متسائل إذا كان للحيوان لغة يتفاهم بها كا الانسان والاجابة تتمثل في قول المولى عز وجل ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوۡاْ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمۡلِ قَالَتۡ نَمۡلَةٞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمۡلُ ٱدۡخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمۡ لَا يَحۡطِمَنَّكُمۡ سُلَيۡمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ سورة النمل الأية 18.

فلقد أثبت الله ﷻ من خلال هذه الأية اللغة والكلام للنمل وهذه معان في هذه الأية نقلتها ملكة النمل إلى رعيتها ، فهل كشف العلماء لغة النمل ؟ نعم، قال العلماء: إن في النمل غددا كيميائية في البطن والرأس تقوم بإرسال المادة الكيميائية التي هي اللغة التي تتخاطب بها جماعة النمل، فهل هناك لغة أخرى يتخاطب بها ويتفاهم بها أفراد النمل ؟. [2]

في لغة النمل هناك لغة صوتية ,ولغة إشارية– حركات – ولغة مسموعة ولغة مشاهدة، ولغة الأصوات ولغة الشم، واللغة التي تجري بين النمل هي كميائية، وتستقبل بأعضاء حاسة الشم الموزعة على قرني الإستشعار هذه

[1]– ينظر، الموسوعة الكونية الكبرى، د/ماهر الصوفي، ص269.

[2]– أنا واللغة والمجتمع د/أحمد مختارعمر، ط/1، ص156.

الإشارات الكيميائية، فإذا أراد النمل الإنتقال الجماعي إلى مكان الغذاء خرجت نملة تبحث عن الغذاء، وأفرزت مادة كيميائية على طريق سيرها، وهذه لغة من لغات النمل.

ولغة النمل تختلف باختلاف أنواعه وأجناسه، ولكنها على أي حال لا تعدو وسيلة من الوسائل التالية:

أولا: لغة الرائحة:

تلك إشارات كيميأوية يستطيع النمل أن يفهمها، إما عن قرب بطريقة الشم أو الملامسة المباشرة، كما يمكن أن تدرك عند بعض الأنواع عن طريق التذوق بل أن هناك بعض المواد لايكون لها مفعول إلا عندما تمر بالمعدة، وبقوم بإفراز هذه المواد غددا خاصة توجد بالرأس أو الشرج هذا بالإضافة إلى إفرازات غدة "دوفور "، وهي غدة تفرز مواد قلوية تصب على قاعدة شوكة البطن، كما في جنس (mymicenes).

وهي تستخدم في ترقيم أو تأشير الطريق اما في نمل جنس عطا (atta)، فإن هذه الإفرازات تستخدم في إثارة سلوك معيق عند النمل حيث تفرز مفرزا ساما ،كما أن هناك غددا "بافان " والغدد الشرجية .

وبصفة عامة فإن هذه الروائح منها ما هو لجذب الأفراد الأخرى، ومنها ما هولإزعاجها، وبيان ذلك كما يلي .[1]

تأشير الطرق: تقوم العاملات المكتشفة لمصادر الغذاء باستخدام إبرة مؤخرة البطن التي تصب عليها إفرازات غدة " دوفور" في تعليم وتخطيط الطريق عند رؤية غنيمة, وللنمل في ذلك نظام طريق, فالنوع (.solenepsis) يقوم افرازه بتأشير الطريق الذي تتحرك عليه بصورة متبادلة ، فتقوم إحدى الأفراد بإفراغ ماتحتويه هذه الغدد وهو لا يزيد عن 0.005 مم^3 من السائل، حيث يسيل هذا الإفراز على الإبرة الموجودة في نهاية البطن وهذه الإبرة تمس الأرض خلال سير الحشرة على مسافات منتظمة ومحددة وفي أثناء لمسها الأرض يتم سقوط قدر من الإفرازات, ويكفي هذا الافراز لتأشير نحو50 سم طولا على الطريق، ويعتبر أماكن تلامس الإبرة بسطح التربة مراكز لبث الرائحة، ثمّ تتقدم عاملة أخرى لتعليم 50 سم طولاً أخرى على الطريق بنفس القياسات، و يكن تلامس الإبرة بسطح التربة مراكز لبث الرائحة، ثم تتقدم عاملة أخرى لتعليم 50 هولا أخرى الطريق بنفس القياسات.[2]

[1] – الموسوعة الكونية الكبرى آيات الله في ممالك الطير والنحل والنمل والحشرات د/ ماهر أحمد الصوفي ص193.

[2] – كتاب أنا واللغة والمجتمع، د/أحمد مختارعمر، ط/01، ص155.

ولا شك ان هذه الروائح تتبخر في وقت معين، كما إنها تتناسب في تركيزها مع مقدار الغنيمة, فإذا كانت الغنيمة صغيرة كانت الرائحة قليلة والعكس فلا تلبث العاملات ان تستنبط من هذا التأثير والتركيز مقدار القوة من الأفراد اللازمة لجلب هذا الرزق، فهذا من روائح التفاهم.

أما روائح الإزعاج والتحذير فإنها تحدث عند الخطر وفيها تقوم العاملة أو العاملات المنزعجة بصب افرازات غددها الكلية على الأرض دفعة واحدة والمادة المفرزة هذه تكتفي لتشبيع دائرة نصف قطرها 6 مم وتظل هذه المادة المفرزة تتبخر لمدة 13ثانية، فعندما تقترب عاملة أخرى من هذا المجال فإنها تعاني انجذابا لمصدر الرائحة على أثره تطلق القادمة إشارات الخطر والتحذير لإخوانها القادمات.[1]

ثانيا : قرون الاستشعار:

لما كان النمل يقضي فترة طويلة من حياته داخل أوكاره المظلمة فإن وسائله البصرية لا تخدمه في اتصاله مع أقرانه, وذلك فإن أفراد النمل تستخدم قرون الاستشعار والأرجل الأمامية لإتمام عملية الإتصال والتفاهم فيما بينها، حيث تحدد نوع الفرد الملموس (عاملة جندي– ملكة) ومع هذا فالرائحة تلعب دورا هاما في هذا النوع من الاتصال أيضا ويقوم الفرد الجائع بالبدء بالملامسة حيث يتقيأ الفرد الملموس كمية من طعام الزميلة، وهناك ظاهرة أخرى لقرون الاستشعار وهي حركتها إلى أعلى وإلى أسفل مع حركة الرأس إلى الأمام، حيث تكون هذه الحركة إشارة من إحدى العاملات إلى مصدر الغذاء، كما تكون هذه الحركة إشارة من إحدى العاملات إلى مصدر الغذاء كما تكون هذه الحركة حركة تحذيرعندما يدخل الخلية شخص غريب.

ولغة النمل لها وظيفتان، التواصل، والإنذار، فلو سحقت نملة فإن رائحة تصدر عنها، تستغيث بها النملات، أوتحذرها من الإقتراب من المجزرة ولا تستطيع نملة دخول مسكنها إلا إذا بينت كلمة السر، والنملة هي من أذكى الحشرات، وهي تملك نوعا من التصرف العقلاني ومن اللاطائف المستنبطة من قوله تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوۡاْ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمۡلِ قَالَتۡ نَمۡلَةٞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمۡلُ ٱدۡخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمۡ لَا يَحۡطِمَنَّكُمۡ سُلَيۡمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ١٨ ﴾ سورة النمل، الآية 18.

[1]– أنا واللغة والمجتمع، أحمد مختار عمر، ط/1، ص155.

هذه النملة خاطبت منادية بلطف تنبيها "يأيها النمل" آمرة محذرة،"ادخلو مساكنكم " معللة ذلك تعليلا: "ليحطمنكم سليمان وجنوده"، معتذرة من فعل سليمان وجنده اعتذارا، فيا لها من نملة حازت بين أهلها حكمة وتقديرا، وسبحان من أنطقها وهو الحليم القدير.[1]

سليمان عليه السلام و النملة :

يقـــول تعـــالى:﴿ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوۡاْ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمۡلِ قَالَتۡ نَمۡلَةٞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمۡلُ ٱدۡخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمۡ لَا يَحۡطِمَنَّكُمۡ سُلَيۡمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ١٨﴾ سورة النمل، الآية 18.

تمضي بنا الآيات لبيان موقف سليمان عليه السلام ,وهو حديثه عن النملة، وهي معجزة من معجزاته، فقد سار موكبه على هذا النحو المنظم الدقيق، حتى إذا أتوا على واد النمل قالت نملة لها صفة الاشراف والتنظيم على باقي النمل قالت للنمل بلغة التفاهم بينهم ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون، وهذا بيان لفضل سليمان وجنوده وعدلهم اذ انهم لا يحطمون ضعيفا إلّا لكونهم لا يشعرون اذ لوشعروا لم يحطموه كما جاء في قوله تعالى: ﴿ هُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّوكُمۡ عَنِ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ وَٱلۡهَدۡيَ مَعۡكُوفًا أَن يَبۡلُغَ مَحِلَّهُۥۚ وَلَوۡلَا رِجَالٞ مُّؤۡمِنُونَ وَنِسَآءٞ مُّؤۡمِنَٰتٞ لَّمۡ تَعۡلَمُوهُمۡ أَن تَطَـُٔوهُمۡ فَتُصِيبَكُم مِّنۡهُم مَّعَرَّةُۢ بِغَيۡرِ عِلۡمٖۖ﴾ سورة الفتح،الآية 25.

وهذا ثناء على جند مُحَمَّد ﷺ التفاتا إلى انهم لا يقصدون هدر مؤمن إلا أن المثني على جند سليمان هي النملة بإذن الله تعالى ,والمثنى على جند مُحَمَّد ﷺ هو الله عزوجل، فأدرك سليمان عليه السلام ما قالت النملة وهش له وانشرح صدره بإدراك ما قالت, وإنشرح صدره لأنه عجيبة من العجائب أن يكون للنملة مثل هذا الإدراك، وأن يفهم عنها النمل فيطيع .[2]

[1]- التفسير الوسيط، للزحيلي، د/وهبة بن مصطفى الزحيلي، دار الفكر دمشق،ط 01 1422، ج 2، ص 182.

[2]- التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم،عبد القادر عرفات، دار الفكربيروت، مج/ 5، ط/ 1، 1431هـ/2010م، ص231/261.

فلما أدرك سليمان هذا " فتبسم ضاحكا من قولها وقال رب أوزعني أن اشكر نعمتك "، والتبسم غالبا ضحك الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، ودعا سليمان عليه السلام بأن يلهمه الله عز وجل شكر هذه النعمة التي منّ بها عليه وهي تعليمه منطق الطير والحيوان.

ونقف هنا أمام خارقتين لخارقة واحدة خارقة إدراك سليمان بتحذير النملة لقومها وخارقة إدراك النملة أن سليمان وجنوده، فأما الأولى : فهي مما علمه الله لسليمان إنسان ونبي، فالأمر بالقياس إليه أقرب من الخارقة الأخرى البادية في مقالة النملة فقد تدرك النملة أن هؤلاء خلق أكبر، وأنهم يحطمون النمل إذا داسوه، وقد يهرب النمل من الخطر بحكم ما أودع الله فيه من القوى الحافظة للحياة.[1]

أما أن تدرك النملة أن هذه الشخوص هي سليمان وجنوده، فتلك هي الخارقة الخاصة التي تخرج عن المألوف وتحسب في عداد الخوارق.

فمن خلال هذه المعجزة التي تعد من النعم التي يمن الله بها على أنبيائه وأهميتها لتكون نصب عيني ذلك المرسل من الأنبياء، نصل مجموعة من النقاط والتي من بينها، فضل العلم، وأنهم أعظم نعم الله التي يمن بها على عباده إضافة إلى التأمل والتفكر في أصناف هذا الخلق وتسخير الله تعالى جميع الكائنات لهذا الإنسان ليسير على منهج الله تعالى، بيان فضيلة سيدنا سليمان عليه السلام واختصاص الله له بخصائص ليس لغيره، والحكمة الإلهية التي حبكت هذا المشهد العجيب الدال على الوحدانية بالإضافة إلى إظهار القدرة الإلهية على جعل الناطق من البشر يفهم لغة الحيوان الأعجمي، إن الله سبحانه يبين لنا أن للحيوان لغة وأثبت ذلك في القرآن الكريم, وقد جعل لنا مثلا في ذلك سليمان عليه السلام إذ استطاع أن يفهم منطق الطير واستطاع الطير أن يفهم سليمان عليه السلام (الهدهد مثلا)، وذلك عند ما كلفه بمهمة إلى ملكة سبأ، تحدثا مع بعضهما وتلقى الطائر الأمر من سليمان ونفذه بكل دقة ودون خطأ، وهذا دليل فهمه لسليمان عليه السلام.[2]

[1]- علوم القرآن مدخل إلى تفسير القرآن وبيان إعجازه، د/ عدنان مُحَمَّد زرزور، المكتب الإسلامي بيروت، دمشق، ط/1، 1401هـ/1981م، ص118.

[2]- ينظرالقصة في القرآن الكريم د/مُحَمَّد طنطاوي، دار نهضة مصر الطباعة والنشر والتوزيع، ج/ 2 ط/1، 1997، ص65 .

سليمان عليه السلام والطائر الهدهد:

يقول تعالى :﴿ وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيۡرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَآ أَرَى ٱلۡهُدۡهُدَ أَمۡ كَانَ مِنَ ٱلۡغَآئِبِينَ ﴿٢٠﴾ لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابٗا شَدِيدًا أَوۡ لَأَاْذۡبَحَنَّهُۥٓ أَوۡ لَيَأۡتِيَنِّي بِسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٖ ﴿٢١﴾ ﴾ فَمَكَثَ غَيۡرَ بَعِيدٖ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمۡ تُحِطۡ بِهِۦ وَجِئۡتُكَ مِن سَبَإِۭ بِنَبَإٖ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾ إِنِّي وَجَدتُّ ٱمۡرَأَةٗ تَمۡلِكُهُمۡ وَأُوتِيَتۡ مِن كُلِّ شَيۡءٖ وَلَهَا عَرۡشٌ عَظِيمٞ ﴿٢٣﴾ إلى أن قال : ﴿ قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقۡتَ أَمۡ كُنتَ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾ ٱذۡهَب بِّكِتَٰبِي هَٰذَا فَأَلۡقِهۡ إِلَيۡهِمۡ ثُمَّ تَوَلَّ عَنۡهُمۡ فَٱنظُرۡ مَاذَا يَرۡجِعُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾.سورة النمل الأيات :20-23 ومن27-28 .

فالهدهد طائر من الطيور التي خلقها الله سبحانه وسخرها لسيدنا سليمان عليه السلام ففي قصة سيدنا سليمان عليه السلام مع الطائر الهدهد إعجاز عظيم لا تستوعبه عقولنا مطلقا، فإذا قلنا إن الله سبحانه سخر لسيدنا سليمان الجن والإنس والطير حتى الدواب فكانت العلاقة بين سليمان وتلك المخلوقات ربما محدودة إلى حد معين ، ولكن قصة الهدهد لها خاصية عظيمة فكيف ترك الهدهد مجلس سيدنا سليمان وذهب إلى مكان بعيد، فسليمان عليه السلام كان في فلسطين، ورحلة الهدهد إلى اليمن حيث ملكة سبأ والمسافة بعيدة جدا تزيد عن ثلاثة آلاف كم، وهو إذاً في مهمة خاصة، ولكنها من الله سبحانه وليس من سليمان لأن سليمان عليه السلام قال: "لأعذبنه عذابا شديدا أو لا أذبحنه " ذلك لأنه خالف أمره وذهب من دون إذنه، ولكنه قال تعالى: " أوليأتني بسلطان مبين" أي سببا مهما ووجيها لسبب غيابه، "يقول ابن كثير عن سفيان بن عينة لما قدم الهدهد قالت له الطير: ما خلفك؟ فقد هدر سليمان دمك، قال هل استثنى قالوا نعم، " أو ليأتيني بسلطان مبين" قال الهدهد نجوت ، ذلك أن الهدهد جاءه بنبأ وسلطان مبين عن مملكة سبأ وملكتها وأنها كما قال تعالى: "فمكث غير بعيد فقال أحطت بمالم تحط به،وجئتك من سبا بنبأ يقين " فكان للهدهد عذر وهو أنه جاء له من سبأ بنبأ يقين.[1]

[1]- تفسير القرآن العظيم لابن كثير مؤسسة الكتب بيروت ط/ 05 ص403.

وقال الهدهد لسليمان عليه السلام كما قال تعالى: "إني وجدت امرأة تملكهم وأوتيت من كل شيء ولها عرش عظيم ، وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله " ان هذا يدفع بنا إلى طرح العديد من التساؤلات عن الهدهد، فكيف عرف الطير(الهدهد) أن قوم ملكة سبأ يسجدون للشمس ؟ وكيف فهم عبادتهم ؟.

وهل الطير الذي في السماء اليوم يعرف من نعبدو ويراقبنا ؟كيف ارتحل الهدهد من فلسطين إلى اليمن ؟ ومن أرسله وعندما عاد كيف تفاهم مع سليمان عليه السلام وفهم منه كل هذه القصة الطويلة – انه إعجاز عظيم_ ولم تنته القصة عند هذا الحد بل كان للهدهد مهمة أخرى صعبة ومعقدة وارتحاله مرة أخرى لمسافة ثلاثة آلاف كم لتنفيذ أمر سليمان عليه السلام .بقوله تعالى : " اذهب بكتابي هذا فألقيه اليهم ثم تول عنهم فانظر ماذا يرجعون "وفعل الهدهد ما أمره سليمان عليه السلام تماما وعندما وصل قصر ملكة سبأ رأته الملكة ورأت كيف رمى لها كتاب سليمان عليه السلام بالمكان المحدد من كوة هناك بين يديها ثم تولى الهدهد ناحية أدبا وكياسة فتحيرت ملكة سبأ مما رأت وهالها ثم عمدت إلى الكتاب فتنأولته وفتحت ختمه وقرأته.[1]

قال العلماء: لم يكتب أحد بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ قبل سليمان عليه السلام وقوله " ألا تعلوا عليا" قال قتادة يقول: لا تتجبروا علي "وأتوني مسلمين " وقال ابن أسلم لاتمتنعوا ولا تتكبروا علي وأتوني مسلمين، قال ابن عباس :موحدين وقال غيره: مخلصين، وقال سفيان بن عينة: طائعين.[2]

فمن خلال الآيات السالفة الذكر نستخلص بأن الله تعالى علم سيدنا سليمان منطق الطير وهي لغاتها ومنطقها، وأفهمه ما يخاطب به الطيور في الهواء وما تنطق به الحيوانات على اختلا أصنافها، وأنه تعالى سخر لسليمان طائفة من الجن وطائفة من الطير كما سخر له طائفة من الانس, ولم يكن كل أهل الارض من الانس جندا لسليمان فكذلك لم يكن جميع الجن ولاجميع الطير مسخرين له، إنما كانت طائفة في كل أمة.

ومما يدل على ذلك أن الهدهد لما غاب علم سليمان بفقده فلو كانت جميع الهداهد مسخرة له لما علم سليمان بفقد واحد من ملايين الهداهد ولما قال: مالي لا أرى الهدهد؟ فهو اذن هدهد خاص بذاته وشخصه،

[1]– تفسير القرآن العزيز، لأبي عبد الله مُحَمَّد بن عبد الله أبي زمنين تح حسين بن عكاشة ومُحَمَّد مصطفى الكنز، ط/1، مج /3، طباعة الفاروق الحديثة للطباعة والنشر ، 1423هـ – 2002 م، ص297.

[2]– التفسير الموضوعي لسور القرآن ج/5، ط/1، 1431هـ / 2010، ص441.

وكان سليمان عليه السلام إذا غدا إلى مجلسه الذي كان يجلس فيه تفقد الطير فنظر فرأى من أصناف الطيور كلها من حضره إلا الهدهد.

وحشر لسليمان جنوده من الجن والانس والطير وهو موكب عظيم, وحشد كبير يكن أولهم على آخرهم لئلا يتقدم احد عن منزلته التي هي مرتبة له، والآيات تبدأ بعرض سليمان وتفقده لجنوده بعدما أتوا على وادي النمل وما حدث هناك، حيث علم سليمان عليه السلام فقال:" لأعذبنه عذابا شديدا أو لأذبحنه أو ليأتن بسلطان مبين "، فسليمان لم يجزم بتعذيبه وفقط بل خيره بين ثلاثة أمور إما أن يعذبه أو يذبحه أو يأتي بحجة قوية، لأنه قد يكون عذر بيّن، وفي الأية دليل على أن الحد على قدر الذنب لاعلى قدر الجسد أما أن يرفق بالمحدود في الزمان والصفة، فمكث الهدهد زمانا يسير ثم جاء فقال لسليمان: "أحطت بمالم تحط به" أي بمالم تطلع عليه أنت ولاجنودك،"وجئتك منسبأ بنبأ يقين "بخبر صادق .ثم أخبره بما رأى في سبأ فقال "إني وجدت امرأة تملكهم " ثم أخذ الهدهد يحثه بما هو أعظم وأخطر فقال الهدهد لسليمان لقد وجدت ملكة سبأ وقومها وثنين ,يعبدون الشمس ويتركون عبادة الواحد الأحد، وقدحسن لهم الشيطان أعماهم، القبيحة، وهي عبادة الشمس والكواكب فنعهم عن طريق الخير والهدى ، فهم لا يهتدون إلى الله وإلى توحيده ، ثم قال الهدهد متعجبا :أيمجدون للشمس ؟ولايسجدون لله الخالق المدبر العظيم الذي يعلم الخفايا والنوايا ويعلم كل مخبأ في العالم العلوي والسفلي، ويعلم السر والعلن، وهو رب العرش العظيم والمتفرد بالعظمة والجلال[1].

فمن خلال هذه القصة العجيبة التي تعتبر متابعة لقصص الأنبياء وما أختصهم الله تعالى من المعجزات، التي تحتم تصديقهم و إتباعهم، فهي المحور وملاكه تجدر بنا الإشارة إلى شرف سيدنا سليمان عليه السلام، وفضله إضافة مكانة الهدهد وحرمته التي اكتسبها من قيامه بدعوة التوحيد.

[1]- ينظرالتفسير الموضوعي لسور القرآن ، مج/5،1431هـ/ 2010م، ص446.

الخـــــــاتمة

يعد البحث في بلاغة لغة القرآن الكريم ، من البحوث الشيّقة التي تستمد حضورها من الإرث البلاغي الكبير الذي خلفه علماء البيان العربي ، من أمثال الجاحظ ونظراته ، وابن قتيبة الدينوري ، ووقفاته في تأويل مشكل القرآن ، مرورا بطائفة الإعجازيين الذين حاولوا استكشاف اللمسات البيانية في النص القرآني من أمثال عبد الدلائله وأسراره ، وتطبيقات الإمام الزمخشري الرائعة في كشافه ، هذا دون التقليل من البحوث العلمية المنجزة في العصر الراهن التي تمس مختلف النواحي الإعجازية المتعلقة بالحيوانات المدروسة في هذا البحث ، وهكذا ومن خلال هذه الدراسة توصلنا إلى جملة من النتائج من أبرزها مايلي :

1) أنّ الحيوانات تصنّف أصناف ،وكلّ صنف منها يمثل أمّة مستقلّة تتمتع بعاداتها ،ولغتها ،ونمط حياة يختصّ بها عن غيرها .وأنّ لعلم الحيوان حقائق علمية وضعها الخالق له وزوّده بحواس تلائم بيئاته .
2) إن عالم النمل يقدم للإنسان دروسا هو في أمس الحاجة إليها من النصح والتناصح ، وحب الخير للغير ، والابتعاد عن الأنانية والذاتية والتعصب ، والتفاني في خدمة المجموعة ، مع النأي عن كل أشكال التقوقع والتحجر .
3) عالم النمل من خلال صيحة النملة البليغة ، وهي ترى الخطر يتهدد وادي النمل من قبل سليمان وجنوده هو درس بليغ في الوقوف أمام الأخطار ، وتحذير المجتمع من كل أنواع الضرر التي يمكن أن تتهدده في لحظات الغفلة ، وهو درس في قيمة التضامن الأخوي فعلا لا قولا . كم تحتاج المجتمعات الإسلامية اليوم إلى أمثال هذه الدروس في ظل الانقسامات ، وتحكم الطائفية والعصبيات .
4) تمكنّا من الوصول إلى أنّ في خلق الحيوان حكمة وحقيقة علميّة دقيقة ،وهذا من خلال تصوير هذا الكائن في القرآن الكريم ،الذي بيّن لنا حكم ربّانية عجيبة إستطاع العلم إثباتها من جرّاء مراعاة الإعجاز العلمي لهذا الكتاب العظيم .

5) إضافة إلى أنّ جُل الكائنات الحيّة ،من حشرات وحيوانات وطيور تعتبر أممٌ أمثالنا .ولذا وجب علينا مراعاتها والمحافظة عليها ،وعدم الإساءة إليها .

6) ولعلّ الشيء العجيب الذي لاحظناه هو ما توصلت إليه الأبحاث العلمية ،من خلال الإعجاز العلمي هو لغة الحيوان وبلاغة هذه اللغة ،وهذا ما لمسناه جلياًمن خلال ما ورد في سورة النمل،وذلك في قصة سيدنا سليمان عليه السلام مع النملة والهدهد ،ومخاطبة النملة .

فالإنسان ليس هو الوحيد الذي له لغة،بل الحيوان كذلك له لغة يتفاهم بها أفراده فيما بينهم .وهذا ما أكّده لنا القرآن الكريم .

وبهذا كله إستطعنا الوصول إلى أنّ في لغة الحيوان بلاغة إعجازية من خلال ما سخّره الله تعالى له ،بالإضافة إلى إظهار الحكمة الإلهية في كلام الحيوان.

قائمة المصادر والمراجع

1- القرآن الكريم برواية حفص.

2- الأهمية الاقتصادية للحيوانات عدا الحشرات، أحمد حسين.

3- أناواللغة والمجتمع، أحمد مختار عمر، ط1.

4- القرآن و إعجازه العلمي مُحَمَّد إسماعيل إبراهيم، دار الفكر العربي دار الثقافة العربية للطباعة.

5- البخاري صحيح، البخاري يشرحه كتاب الشرب والمسافات باب سقي الماء .

6- البحر المحيط، دار الفكر بيروت، ط/2 ، 1398هـ/1978م.

7- البخاري، صحيح البخاري بشرحه فتح الباري ،كتاب بدء الخلق.

8- البحاري مُحَمَّد بن اسماعيل، الجامع الصحيح ،مكتبة دار السلام، ومكتبة دار الفيحاء، ط1 1997م.

9- كتاب التوبة باب فيما يحتقر من الذنوب، وقال إسناده حسن، رواه الهيثمي، في مجمع الزوائد

10- كشاف اصطلاحات، الفنون والعلوم ،المؤلف مُحَمَّد بن علي بن القاضي مُحَمَّد حامد بن مُحَمَّد صابر الفروقي الحنفي التهاتوي ، تح د/علي دحروج، دار النشر :مكتبة بيروت لبنان، ط1 سنة 1996.

11- تفسير البيضاوي ، تح/ مُحَمَّد العيد.

12- تفسير القرآن العزيز، لابن أبي زمنين.

13- تفسير الإمام مُحَمَّد بن جرير الطبري، تح/معالي الشيخ د/عبد الله عبد المحسن التركي، طبعة دار هجر بمصر، ط/1، 1422هـ،2001م.

14- تفسير القرآن العزيز، لأبي عبد الله مُحَمَّد بن عبد الله أبي زمنين تح حسين بن عكاشة ومُحَمَّد مصطفى الكنر، ط1، طباعة الفاروق الحديثة للطباعة والنشر، 1423هـ/2002م.

15- تفسير القرآن العظيم لابن كثير مؤسسة الكتب بيروت ط/ 05.

16- التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم ط1، 1431هـ/ 2010م، عن نخب من علماء التفسير بإشراف الدكتور مصطفى مسلم جامعة الشارق.

17- التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، تح/ د/ عبد القادر عرفات ،دار الفكر بيروت، ط/ 1.

18- تفسير المراغي، المراغي أحمد مصطفى دار إحياء التراث العربي بيروت، ط/3، 1974هـ/1394م.

19- تفسير القرآن العظيم، ابن كثير مؤسسة الكتب بيروت ، ابو حيان مُحَّد بن يوسف الأندلسي الغرناطي، ط/5.

20- التفسير الوسيط، للزحيلي، د وهبة بن مصطفى الزحيلي، دار الفكر دمشق ، ط1.

21- التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج ،دوهبة بن مصطفى الزحيلي، دار الفكر المعاصرة دمشق، 1418هـ، ط/ 2.

22- موسوعة الحيوانات، إعداد قسم التأليف دار المعرفة إشراف وتحرير نبيل دادوة.

23- القصة في القرآن الكريم، د/مُحَّد طنطاوي دار نهضة مصر الطباعة والنشر والتوزيع،1997م، ط/1.

24- الراغب الإصفهاني، معجم مفردات القرآن.

25- القرآن وعالم الحيوان، د/ عبد الرحمن مُحَّد.

26- المجلة الأردنية في الدراسات الإسلامية المجلد/2، العدد/1، حقوق الحيوان إصدار بدعم من صندوق البحث العلمي جامعة آل البيت.

27- المسؤولية والجزاء، علي عبد الواحد وافيي القاهرة دار نهضة مصر 1987م، ط/5.

28- علوم القرآن مدخل إلى تفسير القرآن وبيان إعجازه ،د/ عدنان مُحَّد زرزور، المكتب الإسلامي بيروت، دمشق، ط/1، 1401هـ.

29- غريب القرآن لأبي بكر بن عزيز السجستاني،.تحقيق مُحَّد أديب عبد الواحد ،دار النشر دار قتيبة سنة الطبع 1995.1416م، ط1.

30- القرآن وإعجازه العلمي، مُحَّد اسماعيل إبراهيم، دار الفكر العربي، دار الثقافة العربية للطباعة القرآن ينبوع العلوم والعرفان لعلي فكري، دار إحياء الكتب العربية.

31- القرطبي، أبو عبد الله مُحَّد بن أ مُحَّد...شمس الدين القرطبي، دار الكتب المصرية القاهرة.

33- تفسير القصة القرآنية في القرآن الكريم، د/مُحَّد سيد طنطاوي، ط/ 1، يناير 1997م،ج /2، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع.

34- القوانين أفلاطون، ترجمة و تح/ مُحَّد حسن ظاظا ، الهبة المصرية العامة للكتاب، ط1.

35- مسلم، صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب البر والصلة باب النهي عن لعن الدواب وغيرها

36- مسلم، صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب السلام باب تحريم قتل الهرّة.

37- مسلم، صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب الصيد والذبائح باب الأمر بإحسان الذبح والقتل .

38- المصباح المنير معجم عربي عربي، تأليف العلامة مُحَّد بن علي الفيومي 770هـ، مكتبة لبنان ط/بلونين ميسرة.

39- الموسوعة الكونية الكبرى، آيات الله في ممالك الطير والنحل والنمل والحشرات د/ ماهر الصوفي، الكتبة العصرية ،بيروت.

40- مجلة المخلوقات العجيبة، لهارون يحي.

41- لسان العرب، للإمام العلامة ابن الفاضل جمال الدين مُحَّد بن منظور الإفريقي المصري مج: 1، ج 3/، دار صادر بيروت.

42- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية، لمحمد بن علي بن مُحَّد الشوكاني، دار المعرفة بيروت لبنان.

43- الحيوان، لإبن عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، تح/ عبد السلام مُحَّد هارون، 1384هـ/1965م، ط/2.

الموضوع	رقم الصفحة
البسملة.	
الآية.	
الشكر.	
الإهداء.	
مقدمة.	أ-ج
مدخل.	6-9
الفصل الأول:الحيوان في القرآن الكريم.	10
المبحث الأول: تعريف الحيوان لغة واصطلاحا.	10
المبحث الثاني: تصوير الحيوان في القرآن الكريم.	13
المبحث الثالث:نظرة تاريخية عن مكانة الحيوان.	26
الفصل الثاني:سورة النمل وتجليات بلاغة لغة الحيوان.	33
المبحث الأول:تعريف سورة النمل.	33
المبحث الثاني:الحيوانات المذكورة في سورة النمل.	40
المبحث الثالث:التشكيل البلاغي للغة الحيوان في سورة النمل.	51
خاتمة.	60
قائمة المصادر والمراجع.	63